الفصل الثالث
التغيرات المعاصرة
وعلاقتها بالبحث التربوى

مقدمة :

يتسم عصرنا بالتغير السريع الذى أحدثه التقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية وسرعة الاتصال بين بلدان العالم الذى أصبح كقرية صغيرة بل أصغر حيث ربطت شبكات الاتصال " الإنترنت " العالم بأكمله واتسم العصر بسرعة نقل المعلومات والأخبار عبر هذه الشبكات، وأصبحت التجارة وغيرها تدار عن طريق شبكات الإنترنت وهذا التطور الذى طرأ على العالم لم تكن مصر بمعزل عنه حيث حدثت فيها تغيرات جذرية استجابة للتغيرات العالمية، تستحق البحث وإعادة النظر والتفكير فيما يقدم من برامج تعليمية وتثقيفية من خلال المؤسسات التعليمية المختلفة.

ونحن نعيش عالماً قد تغير تغيراً كبيراً. هناك انفجار معرفى وتطور تكنولوجى متسارع فى جميع مجالات الحياة، تغير فى مجال الفكر الإنسانى حيث يشهد الفكر البشرى اهتماماً عالمياً فى محاولة لمراجعته وإعادة صياغته وقد أدى ذلك إلى انهيار كثير من المسلمات العلمية وقد أدى إلى انهيار بعض الفلسفات والأيديولوجيات مما أدى إلى انهيار نظم سياسية واقتصادية ظنت أنها ستستمر فى سيادة الفكر الإنسانى ويشهد العالم اليوم ازدياداً فى قدرة الإنسان على استخدام المعرفة وتطويعها لخدمته ولتحقيق حياة أكثر رفاهة ورقياً، فقد ازدادت فى عصرنا القيمة التطبيقية للعلم، وتناقص الزمن بين النظرية العلمية وتطبيقاتها فأصبحت التكنولوجيا تتقدم بسرعة مذهلة.

" وفى زحمة التغيرات وصخبها، لم يقتصر انصرافنا على ثوابتنا ومتغيراتنا المحلية الوطنية ، وإنما إلى محيط أمتنا العربية بثوابته ومتغيراته وأزماته القومية، انصرف الاهتمام الأكبر إلى مجالات أقل أهمية وبعضها من قبيل الحلم، خفت نداء العروبة المنبعثة لا من عقل الجماهير فحسب، بل من وجدانها ... ومن آمالها وتطلعاتها ومن وعيها ولا وعيها ، كذلك خفت ذلك النداء الذي يتجمع في أصدائه التاريخ ... الحى والحاضر المأزوم والمستقبل المنشود، لتحل محله قضايا الشرق الأوسط بعلاقاته وأسواقه وتجمع البحر المتوسط واحداً أو متجزئاً بين شرقه و غربه، وصراع حضارات "(١).

وقد حدث تغير فى نظام مصر الاقتصادي والاجتماعي وظهرت بدايات التطور فى ثقافتنا وما ينتشر بيننا من فكر كل ذلك يستوجب إعادة النظر فى نظمنا التعليمية سواء فى التعليم قبل الجامعي أو الجامعي بما فى ذلك البحث العلمي والتربوى، فما أحدثه عصر المعلومات من توزيع الأمم إلى فريق جائع للمعلومات وفريق نعم للحصول عليها جعل التجديد ضرورياً والحصول على المعلومات وتخزينها والتعامل معها يتطلب كلاً من الحاسوب والبرمجيات وتأسيس شبكات للمعلومات ومن هنا أصبح ضرورياً البحث للتعرف على هذه التغيرات وأثرها على البحث التربوى، حتى يمكننا مجابهتها والاستفادة منها فى خدمة جميع المجالات ومنها البحث التربوى.

سمات العصر الحديث :

يتسم العصر بالتغير السريع والذى يشمل القيم والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية وهذا التغير المتسارع هو نتاج الثورة التكنولوجية الثالثة ويتميز العصر بعدد من السمات الرئيسية وأهمها :

---

(١) حامد عمار، دراسات فى التربية والثقافة مرجع سابق ، ص ٤٨.

[١] التغير السريع :

إن سنة الحياة هى التغير المستمر، وإذ كان التغير فى فجر التاريخ بطيئاً فإنه حالياً يتسم بتزايد سرعته باستمرار، ويخلف بذلك فجوة تتزايد بين الدول المتقدمة والدول النامية.

" فالعالم الجديد سريع التغير فى بنائه الاقتصادي وفى تقنيات الإنتاج وفى مطالب العمالة وفى هياكل القطاعات الاقتصادية والمهن وفى صلة الإنسان بالآلة وفى عالم الاتصال والمعلوماتية وفى مجالات المعرفة والبحث بل حتى فى مجالات الثقافة والفنون، ومثل هذا العالم المتغير يستلزم إعداداً للثروة البشرية ملائماً، لا يلبى حاجات العمالة الوليدة فحسب بل يتجاوز ذلك إلى تقدم علمي وتكنولوجي مرن وقدرة ذاتية على التكيف وتوليد أشكال من نظم التربية يتصف بالمرونة والقدرة على توفير التعليم والتدريب"(١).

ومن أمثلة التغير السريع – زيادة سرعة الاتصالات حيث يمكن الآن الاتصال لحظياً بأى مكان على الأرض عبر الأقمار الصناعية – التسارع بين ظهور الفكرة وتطبيقها، فقد ظهرت فكرة التصوير الشمسى عام ١٧٢٧م ولم تبدأ تطبيقاتها إلا عام ١٨٣٩م أى بعد ١١٢ سنة وقد انكمشت هذه الفترة إلى سنتين فى حالة الترانزيستر فى أوائل الخمسينات من القرن العشرين(٢).

غير أن هذه الفترة الواقعة بين النظرية والتطبيق قد انكمشت فى العصر الحديث أكثر بكثير من ذى قبل ففى مجال الكمبيوتر على سبيل المثال لا نتجاوز الفترة بين النظرية والتطبيق العام، وربما أقل بكثير وقد انعكس هذا التسارع على الحياة بأكملها فى شتى

(١) عطية منصور عبد الصادق وحمزة عبد الحكم الرياش، النظام العالمى الجديد والتربية، مرجع سابق ، ص ٥٨.
(٢) عبد الرازق عبد الفتاح، التعليم الجامعى وتحديات المستقبل، مرجع سابق ، ص ص ١٣٦،١٣٧.

مجالاتها ومن بينها المجال العلمى والبحوث العلمية والتربوية حيث تطلب هذا التسارع سرعة إنجاز البحوث التربوية للحاق بركب الحضارة المتسارعة والتطور حتى يمكن تطبيق نتائج البحوث فى زمن دراستها إذ تفقد جدواها إذا انقضت الفترة الزمنية الملائمة لها والتي تسعى البحوث إلى خدمتها.

[٢] التقدم التكنولوجي والمعرفي :

يتسم عصرنا بالتقدم التكنولوجي وزيادة المعارف والعلوم ولقد أصبحت التكنولوجيا ذات طبيعة اقتحامية بمعنى أنها تقتحم المجتمعات سواء أ كانت محتاجة إليها أو غير راغبة فيها.

وتظهر هذه الطبيعة الاقتحامية فى ميدان الحروب، فامتلاك العدو الأسلحة الحديثة أرغم الدول على حيازة هذا النمط من الأسلحة ذات التكنولوجيا العالمية رغم العبء الاقتصادي الذي يفرضه ذلك على المجتمع(١).

دوافع الاهتمام بالمتغيرات المعاصرة :-

ونتيجة للطبيعة الاقتحامية للتكنولوجيا بصفة عامة تأثرت بها الدول النامية ومنها مصر فالتقدم التقنى يظل سراً عند مبدعيه فى المركز ولا ينقل إلى الأطراف إلا امتداداً للمركز وحضوراً فيه، واحتكار التكنولوجيا – أو التقنية التكنولوجية لا يقل عن احتكار السوق أو المواد الأولية أو استغلال العمال ويتم ذلك تحت شعار براءات الاختراع وكأن الذهن البشرى وقدراته الإبداعية ملك للأفراد – كما أن نقل التقنية من المركز إلى الأطراف لا يحدث تقدماً للأطراف بقدر ما يحقق ربحاً للمركز(٢).

(١) عبد الرازق عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ١٣٨.
(٢) حسن حنفى، وصادق جلال العظم، ما العولمة ؟ ، مرجع سابق ، ص ٢٥.

وهذا ما سيؤدى بدوره إلى تدعيم تبعية الدول النامية للدول الغنية مما يؤثر على هويتها بل وعلى القدرة الابتكارية لمبدعيها حيث إن حقوق الملكية الفكرية لا تترك لمثل هؤلاء فرصاً كى يطوروا ولا تسمح لهم باستغلال التكنولوجيا إلا كمستهلكين فقط.

ولذلك فمن المؤكد أن تحدث هذه التغيرات هزات عنيفة فى منظومة التربية من حيث "فلسفتها وسياستها ودورها ومؤسساتها ومناهجها وأساليبها وليس بجديد القول بأن كل تغير مجتمعى لابد أن يصاحبه تغير تربوى إلا أن الأمر نتيجة للنقلة النوعية الحادة الناجمة عن تكنولوجيا المعلومات لا يمكن وصفه بأقل من كونه ثورة شاملة فى تنمية الإنسان المصرى ويقع عبء هذه المهمة على التربية لتسد الفجوة بين قيم المجتمع الثقافية والاجتماعية، والتغيرات التكنولوجية المادية لأن التربية هى التى تكسب السلوك وتعدله وتنوعه وهى التى تشكل الشخصية الإنسانية التى تتفق مع القيم والاتجاهات الجديدة، فعلاقة التربية بالمجتمع خاصة فى عصر المعلومات علاقة ذات طابع ديناميكى، ونجاح التربية يقاس بسرعة استجابتها وتجاوبها مع التغيرات الاجتماعية ذات الإيقاع السريع والمتسارع لمجتمع المعلومات"(١).

وثمة عوامل تدعو إلى الاهتمام بالتغيرات المعاصرة فى المجتمع المصرى ومن أهم هذه العوامل :

١- تحول الاقتصاد المصرى إلى الاقتصاد الحر بما يفرضه من توجهات جديدة لتمويل التعليم وبروز الدور الاجتماعى للقطاع الخاص فى المشاركة فى تطوير التعليم باعتبار التعليم استثماراً.

٢- توافر المعلومات عن التجارب العالمية على مستوى واسع.

---

(١) سعاد محمد عبد الشافى، التربية وتنمية الإنسان المصرى فى ضوء تحديات القرن الحادى والعشرين، كلية التربية، جامعة حلوان، د.ت، ص ص ٢٤،٢٣.

هذه العوامل كما أنها تدفع إلى الاهتمام بالتعليم ففى نفس الوقت تدفعنا للبحث فى المتغيرات المعاصرة لسهولة ربط التغيرات والنهضة العلمية والبحثية ومعرفة مدى العلاقة التى تربط بينهما.

٣- أن التغيرات التى ينطوى عليها عصر المعلومات ستحدث بالضرورة هزات عنيفة فى منظومة التربية من حيث فلسفتها وسياسيتها ودورها ومؤسساتها ومناهجها وأساليبها فكل تغير مجتمعى يتبعه تغير فى التربية.

التغيرات المعاصرة :

أولاً : العولمة : Globalization

تنوعت أبعاد العولمة واختلفت اتجاهاتها بحسب الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها فللعولمة أبعاد اقتصادية وثقافية وتاريخية، وقد اختلفت الآراء حول العولمة حيث يرى البعض أنها محاولة لأمركة العالم أو محاولة لربط العالم بقواعد اقتصادية أو أنها حقيقة تاريخية أو تقارب ثقافى فالعولمة حصيلة النظريات السابقة التى أعدت ببطء لقلب البنيات الاقتصادية والإنتاجية والاجتماعية والعلمية والسياسية فى كافة أنحاء الكرة الأرضية لتسقط مرة واحدة فى جعبة أمريكا والصهيونية العالمية من خلفها فرأسمال الشركات الأخرى العالمية الرئيسية (الأم) هو رأس مال يهودى مجملة والشركات الأخرى مجرد فروع .

و يرى فوكوياما Fukuama المفكر الأمريكى الياباني الأصل فى كتابه نهاية التاريخ أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الأيديولوجية التى بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وهى الحقبة

التى تم فيها التركيز على سمو القدرات التكنولوجية الأمريكية وعلى تفوق المؤسسات والنظم على الطريقة الأمريكية(١).

وتعمل العولمة على فتح الحدود أمام السلع وتحرير الأسواق وإلغاء القيود الجمركية وزيادة الإنتاج، وانتقال التكنولوجيا وانتشارها من دول المركز إلى الأطراف وتراجع دور الدول وظهور التكتلات الاقتصادية والاتفاقات الدولية فى مجال الاقتصاد وظهور الشركات متعددة الجنسيات وتحقيق التكامل فهى تعنى وصول نمط الإنتاج الرأسمالى عند منتصف هذا القرن – القرن العشرين – تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها أى أن ظاهرة العولمة التى نشهدها هى بداية عولمة الإنتاج والرأسمال الإنتاجى وقوى الإنتاج الرأسمالى وبالتالى علاقات الإنتاج الرأسمالية أيضاً ونشرها فى كل مكان مناسب وملائم خارج مجتمعات المركز الأصلى ودوله، والعولمة بهذا المعنى هى رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى النمط ومظاهره، فالعولمة هى حقبة التحول الرأسمالى العميق للإنسانية جمعاء فى ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفى ظل سيادة نظام عالمى للتبادل غير المتكافئ"(٢).

وثمة رأى آخر يرى أن العولمة تحاول أن تذيب الفوارق الحضارية بين الشعوب وتوحيد ثقافتها وصهرها فى بوتقة واحدة ذات خصائص ثقافية واحدة ومن هذه الناحية تعنى عن دول الأطراف اكتساب المعارف والمعلومات وتطوير البحوث العلمية والتربوية فى محاولة لكسب أفضل الأنماط الثقافية رغبة فى اللحاق بالدول المتقدمة، أما فى دول المركز فتعنى المزيد من نشر ثقافتها وصبغ العالم بصبغة ثقافية واحدة.

---

(١) السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، مرجع سابق ، ص٩٥.
(٢) حسن حنفى وصادق جلال العظم، ما العولمة ؟ مرجع سابق، ص ١٢٥.

الجذور التاريخية للعولمة :

اختلفت وجهات النظر حول ظهور العولمة كنظام عالمى فقد رأى البعض أن العولمة كظاهرة حديثة مرتبطة بظهور التكنولوجيا الحديثة وتوقيع اتفاقية الجات وقبل ذلك الحرب العالمية الثانية وانهيار الاتحاد السوفيتى فيرى البعض "أن جزءاً مهماً من الغموض حول متى برزت العولمة ؟ يعود إلى تلك المعانى والمضامين المختلفة التى أعطيت لمصطلح العولمة، فإذا كانت العولمة تشير إلى روابط اقتصادية وتجارية واستثمارية فإن ربط العالم بروابط اقتصادية بدأ فعلياً، وكما يقول إيمانويل والرشتاين مع بروز نمط الإنتاج الرأسمالى كنظام اقتصادى عالمى، قبل أكثر من ٣٠٠ سنة أما إذا كانت العولمة هى تجسيد لتلك التطورات الحياتية والفكرية والتكنولوجية المتلاحقة والتى تؤدى إلى انكماش العالم من حيث الزمان والمكان وبالتالى زيادة وعى الأفراد بهذا الانكماش فإن العولمة هى حقبة حياتية جديدة ولم تبرز سوى خلال عقد التسعينات، أخيراً إذا كانت العولمة تعنى بروز عالم بلا حدود اقتصادية وثقافية وسياسية وبالتالى بروز نظام اقتصادى عالمى موحد وثقافة عالمية موحدة ومجتمع عالمى واحد فإن العولمة غير موجودة حتى الآن والعالم القائم حالياً هو امتداد للعالم القديم وما زال متمسكاً كل التمسك بالحدود"(١).

ويتضح من ذلك أن الكاتب يحاول تحديد المقصود بالعولمة حتى يبنى على أساسها الجذور التاريخية للعولمة، ويرى أن العولمة كاتجاه اقتصادى تجارى قديم ،والعولمة كتجسيد للتطورات الحياتية والفكرية والتكنولوجية جديد، وقد حدثت محاولات قديمة ليصبح العالم ومحاولات لفرض النموذج الحضارى للدول القوية، وقد ذهب إلى هذا المعنى الرأى القائل بأن العولمة كظاهرة معاصرة ليست ظاهرة جديدة تماماً، فلقد عرف العالم

---

(١) عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، سلسلة عالم الفكر، (العدد الثانى،) ، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٩م) ص ص ٥٦،٥٥.

ظواهر قريبة الصلة من هذه الظاهرة خلال فترات تاريخية مختلفة، الحقبة الرومانية والحقبة الإسلامية خاصة فى عهد هارون الرشيد والحقبة الحديثة حقبة السيطرة البريطانية

وتعود البداية الحقيقية للعولمة إلى " إقامة الاتفاقية الأوربية المعروفة باسم كوكلند الشمالية والتى ركزت على موضوع الحريات حرية انتقال البشر، وحرية انتقال المال، وحرية انتقال الخدمات، وحرية انتقال البضائع: وكان الدافع لهذا التوجه ما أصاب أوربا بخاصة والعالم بعامة من فوضى وكساد قبيل الحرب العالمية الثانية بسبب الصراعات التجارية والنقدية التى شهدها العالم فى الثلاثينيات من هذا القرن – القرن العشرين(١).

يبرز العرض السابق بداية العولمة والتى لا يمكن تحديدها إلا فى ضوء ما تعنيه العولمة وبناءً عليه تكون بداية العولمة حسب ما تعنيه كالتالى :-

١- إذا كان المقصود بها فرض النموذج الحضارى للدول القوية فإنها قديمة فقد شهدت الحقبة الإسلامية فى عهد هارون الرشيد محاولات فرض النموذج الحضارى الإسلامى وفى العصر الفيكتورى.

٢- إذا كان المقصود بالعولمة ربط العالم بروابط اقتصادية وتجارية واستثمارية فقد بدأ منذ ظهور نمط الإنتاج الرأسمالى.

٣- إذا كان المقصود بالعولمة تجسيد للتطورات الحياتية والفكرية فالعولمة حقبة تاريخية ظهرت فى التسعينات من القرن العشرين.

---

(١) سيف بن على الجردان، " العولمة والسوق العربية المشتركة "، المستقبل العربى، العدد ٢٤٩، ١٩٩٩/١١م، ص١٤٢.

٤- إذا كان المقصود بالعولمة بروز عالم بلا حدود فالعولمة غير موجودة إلى الآن لأن العالم مازال محتفظاً بالحدود القديمة وحريصاً عليها ويرى المؤلف أن المقصود بالعولمة التى يدور الحديث عنها فى عصرنا هى تجسيد للتطورات الحياتية والفكرية والتكنولوجية المتلاحقة والتى أدت بالفعل إلى انكماش العالم من حيث الزمان والمكان وقد ازداد وعى الأفراد بهذا الانكماش وبالتالى فإن العولمة هى حقبة تاريخية بدأت خلال "عقد التسعينات من القرن العشرين".

مراحل ظهور العولمة :

قد شاع الاعتقاد بأن بروز العولمة مع بروز الحداثة، ولقد مرت العولمة بعدة مراحل تاريخية تتمثل فيما يأتى (١):

[١] المرحلة الأولى : المرحلة الجنينية :

بدأت هذه المرحلة فى بدايات القرن الخامس عشر متزامنة مع التوسع الكنسى وبروز مجموعة من النظريات التى تتحدث عن وحدة العالم والبشرية وشهدت نمو المجتمعات القومية وإضعاف القيود التى كانت سائدة فى القرون الوسطى.

[٢] المرحلة الثانية : مرحلة النشوء :

بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر وكانت مرحلة أوربية وقد شهدت هذه المرحلة انتعاشاً واضحاً وغير مسبوق لمفهوم العلاقات الدولية مع تركيز خاص على الأبعاد القانونية التى تحكم هذه العلاقات بما فى ذلك المجتمعات غير الأوربية وبدأ الاهتمام بموضوع القومية العالمية.

(١) السيد يسين، فى مفهوم العولمة، المستقبل العربى، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨/٢، ص ص ١١،١٠.

[٣] المرحلة الثالثة : مرحلة الانطلاق :

امتدت هذه المرحلة من عام ١٨٧٠م حتى العقد الثاني من القرن العشرين وقد امتازت هذه المرحلة ببروز اتجاهات كونية واضحة تركز على المجتمع العالمي الواحد، وتستمد حيويتها من المنافسة الدولية وسرعة التحولات فى وسائل الاتصالات والمواصلات واندلاع الحرب العالمية الأولى.

[٤] المرحلة الرابعة : الصراع من أجل الهيمنة :

وقد امتدت من العشرينات فى القرن العشرين حتى السبعينات وقد اتصف ببروز الأمم المتحدة وتفاقم حدة الصراع من أجل الهيمنة العالمية والكونية بما فى ذلك المنافسة فى الوصول إلى القمم والتهديد بالفناء النووى الجماعى وتطوير شبكة الاتصالات والاهتمام العالمى بحقوق الإنسان وحرياته من قبل مؤسسات المجتمع المدنى على الصعيد العالمى.

[٥] المرحلة الخامسة : مرحلة عدم اليقين :

وبدأت هذه المرحلة من السبعينات وحتى بداية التسعينات وشهدت هذه المرحلة تزايداً فى إدراك الأفراد لعالمية العالم، ذلك على أثر انتهاء الحرب الباردة وبروز المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لإدارة القضايا العالمية المعاصرة مع زيادة واضحة فى القلق العالمى على مصير البشرية عبر وسائل الإعلام التى استعانت بالأقمار الفضائية لتتخطى الدول وتصل إلى كل زاوية من زوايا الكرة الأرضية.

ويتضح من العرض السابق لمراحل ظهور العولمة أن للعولمة جذورها القديمة التى تعود لأكثر من أربعة قرون مضت لكن ظهورها كظاهرة عالمية حديث.

أسباب ظهور العولمة :-

ساهمت ظروف وعوامل مختلفة فى بروز ظاهرة العولمة فى هذا الوقت من أبرزها :

١- انهيار الأسوار الحديدية التى كانت تحتمى بها الدول الشيوعية وكشف الإعلام المعاصر لكل تعتيم تحاول بعض الأنظمة فى العالم القيام به(١).

٢- أصبح تعظيم الفائض الاقتصادي يتم على مستوى العالم ككل وليس على مستوى دولة بعينها، وهنا تغيرت موازين القوى على مستوى العالم بحيث أصبحت الشركات متعدية الجنسية هى القادرة على التحكم عن بعد فى بناء القوى المحلية وفقاً لمصالحها الخاصة من خلال أنشطتها المتنوعة وتغلغلها فى أجزاء العالم (٢).

ونظراً للتطور الإعلامي الكبير الذي لم تعد هناك منطقة فى العالم مغلقة عليه استطاعت الدول المتقدمة التحكم فى إعلام الدول النامية وتحريك اتجاهات الشعوب ومحاولة تغيير الانتماءات الثقافية والفكرية واستطاعت الدول الكبرى أن تحقق كسبا إعلاميا انعكس على شتى الجوانب الثقافية والفكرية والاقتصادية حيث استطاعت ترويج إنتاجها وضمنت أسواقاً واسعة لسلعها هذا بالإضافة إلى محاولة الدول الكبرى فرض قوانين اقتصادية تحكم بها العالم وتخضع بها الدول النامية فأصبحت هذه القوانين بمثابة قيود تمنع الدول النامية من اللحاق بركب التقدم وتحقق قدراً كبيراً من الرفاهية للدول المتقدمة.

---

(١) جلال أمين، " العرب والعولمة "، مجلة المستقبل العربى، العدد (٢٢٨)، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٣.

(٢) أحمد مجدى حجازى، " العولمة وتهميش الثقافة الوطنية "، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثانى، ، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٩م ص١٤١.

مظاهر العولمة :-

تتعدد مظاهر العولمة فمنها ما هو ثقافى واقتصادى وسياسى واجتماعى فمن مظاهرها الثقافية تزايد المعارف والخبرات واتجاه العالم لصياغة ثقافة عالمية لها قيمتها ومعاييرها لضبط سلوك الدول والشعوب ومن مظاهر العولمة :

١- انهيار أسوار عالية كانت تحتمى بها بعض الأمم من تيار العولمة ومن ثم اكتسح تيار العولمة مناطق مهمة من العالم كانت معزولة بدرجة كبيرة أو بأخرى عنها أهم هذه الأمم هى بالطبع أمم أوربا الشرقية والصين.

٢- الزيادة الكبرى فى درجة تنوع السلع والخدمات التى يجرى تبادلها بين الأمم وكذلك تنوع مجالات الاستثمار التى تتجه إليها رؤوس الأموال من بلد إلى آخر(١).

٣- ارتفاع نسبة السكان فى داخل كل مجتمع من المجتمعات التى تتفاعل مع العالم الخارجي وتتأثر به.

٤- أن تبادل المعلومات والأفكار أصبح هو العنصر الغالب على العلاقات بين الدول لا تبادل السلع ورؤوس الأموال.

٥- أصبحت الشركات متعدية الجنسيات*Copartions transnational*هى "الهيمنة" على انتقال السلع ورؤوس الأموال والمعلومات.

٦- الانحسار التدريجى لسلطة الدولة مما أدى إلى فقدان الدولة حتى فى البلدان الصناعية الكبرى لأدوارها الوظيفية الأساسية إلا أن ذلك أثر بشكل أخطر على الدولة الأقل نمواً حيث فقدت الدولة مصداقيتها فى النهوض شعوبها(٢).

---

(١) جلال أمين، العولمة، سلسلة إقرأ،(القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م)، ص ص ١٠،١٦.
(٢) السيد عليوه، " ثقافة رجال الأعمال تجاه العولمة "،جريدة الأهرام، الجمعة ١٨ يونيو ١٩٩٩م.

٧- تداخل متعاظم عبر الحدود القومية لشئون الثقافة السياسية حيث أصبحت العولمة تعبر عن نمط معين من الحياة والكون، ومن هذه الفلسفة التخلى عما يسمى بالخصوصية فمسألة الخصوصية هذه نادراً ما تثار بسبب عهدنا باكتساح هذا النمط لحياتنا ويخالف هذا الرأى القائل بأن مع مظاهر العولمة تتصاعد الخصوصية الثقافية القومية والمحلية كرد فعل لتزايد العولمة مما يستدعى التفكير عالمياً والعمل محلياً.

٨- تنميط متزايد من السلوك البشرى فى اتجاه ثقافة معممة أو ما يسمى بثقافة الأمركة خاصة فى ظل تزايد سرعة النقل والمواصلات واتساع الأسواق وإزالة الحواجز أمام انتقال المعلومات والأفكار(١).

٩- اندماج الثقافة فى العملية الاقتصادية-التجارية الجديدة أسوة بغيرها من المنتوجات إذ تحررت من القيود الجمركية وباتت قابلة للتداول على أوسع نطاق فى العالم وفى هذا المعنى أصبحت الثقافة سلعة شأنها شأن السلع المادية الأخرى، دخلت مجال المنافسة غير المتكافئة فالدولة التى تمتلك تقنية معرفية واتصالية أكبر هى القادرة على التسويق فى السوق العالمى.

١٠- تشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديداً للتعددية الثقافية فى بعض المجتمعات الثقافية للشعوب وقد ساعد على ذلك حالة الثقافة فى بعض المجتمعات الأقل تطوراً، فالثقافة العربية مثلاً تعانى من ازدواجية نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية بتقنياتها وعلومها وقيمها.

---

(١) السيد يسين، " العولمة والطريق الثالث "، مرجع سابق، ص ٢٩،٣٠.

١١- تعاظم الصراع على المال حتى فى البلدان الأقل نمواً حيث انتشار البورصات المالية فى تلك البلدان أسوة بما يحدث فى الدول الرأسمالية الكبرى، وبناء عليه تم إعادة هيكلة الاقتصاد فى هذه الدول بما يخدم المؤسسات الكبرى عابرة القوميات(١).

ولقد اتضح من العرض السابق لمظاهر العولمة أن هذه المظاهر التى عرضت إنما هى أدوات لتحقيق الهيمنة إما هيمنة ثقافية متمثلة فى استغلال الإعلام لنشر ثقافة الدول العظمى وكذلك استغلال شبكة الإنترنت لنشر الثقافة والقضاء على الهوية الثقافية للدول الصغرى وظهرت حقوق الملكية الفكرية وراءات الاختراع التى أصبحت وسيلة للهيمنة أيضاً وترويج الإنتاج الفكري للدول العظمى وقد تكون الهيمنة مادية متمثلة فى فتح الأسواق العالمية وتوحيدها وإزاحة الحواجز الجمركية وتسابق الشركات متعددة الجنسيات لتحقيق الاحتكار عالمياً، هذا بالإضافة إلى شراء العقول واستغلالها، ومن مظاهر العولمة أيضاً تراجع دور الدولة، ويرى المؤلف أن تبادل المعلومات مازال قاصراً حيث تحتكر الدول المتقدمة تلك المعلومات والمعارف وتمتلك حق منح التصرف فى المعلومات والمعارف التى تقل تكاليفها فى انتقالها بين الدول المتقدمة وتزداد حينما تنقل إلى الدول النامية مما يؤدى إلى عرقلة جهود التنمية ويعرقل محاولات الدول النامية فى اللحاق بركب التقدم.

وقد يكون ذلك من معوقات البحث التربوى حيث تظل النظريات الغربية القديمة هى التى تتحكم فى منهجيته واتجاهاته ويؤدى ذلك إلىاستمرار الأوضاع الاجتماعية والثقافية فى الدول النامية فى حالة جمود ولا يحدث فى البحث التربوى تغييراً يذكر إلا

(١) أحمد مجدى حجازى، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، مجلة عالم الفكر، العدد الثانى،(الكويت: المجلس القومى للثقافة والفنون والآداب) أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٩م، ص ص ١٣٢،١٣١.

من خلال آليات العولمة الرامية إلى تغيير الاتجاهات العالمية لصالحها ولا يقوى البحث التربوى على مواجهتها لتجنب آثارها السلبية.

مكانة الدولة فى ظل العولمة :-

لقد اتجهت العولمة فى سبيل تحقيق أهدافها إلى مخاطبة الأفراد بعيداً عن الحكومات وبث الأفكار الداعية إلى تحطيم موضوع الولاء القديم والقضاء على مقولة "الوطن" أو "الأمة" وإحلال ولاءات جديدة محله ونشر أفكار مثل نهاية التاريخ -صراع الحضارات- نهاية الأيديولوجيا والقرية العالمية، وبذلك تكون العولمة قد خلقت مشكلة تمثلت فى تقليص الانتماءات الوطنية والقومية وذلك بغية تسهيل التأثير على شعوب العالم من خلال قنوات الاتصال وبمعزل عن الحكومات "ولقد أصبح الخضوع لحكم أسواق المال ضربة للديمقراطية حقاً لا يزال يحق لكل مواطن التصويت ولا يزال السياسيون سواء فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى ألمانيا، يسعون للموازنة بين مصالح الفئات الاجتماعية المختلفة لكسب ود الأغلبية، ولكن مع هذه فإن ما يتحقق بعد إجراء الانتخابات يقرره الناخبون القائمون على إدارة الأموال ولا مجال للحديث عن الأخلاقيات هنا، فالمكلف بحكم مهنته بإدارة الأموال عليه أن يسعى إلى تحقيق أكبر معدل ربحية لهذه الأموال"(١).

وبظهور العولمة بدأت الدول النامية تستجيب لضغوط الشركات متعددة الجنسيات وتحاول رفع الحواجز الجمركية لصالح الشركات متعددة الجنسيات وتتراجع الاشتراكية لتحل محلها الرأسمالية.

---

(١) هانس – بيترمارتين، هارلد شومان، " فخ العولمة "، ترجمة عدنان عباس على ورمزى زكى، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٨، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب، ١٩٩٨م)، ص ١٣٦.

وبذلك تراجع دور الدولة فى الدول النامية فلا تستطيع الدولة التدخل لتحديد الأسعار أو دعم السلع أو توزيع الدخول غير أنها تحاول من وقت لآخر علاج الأمراض الاجتماعية التى تظهر نتيجة لذلك من فقر وبطالة وعنف وإرهاب وعصابات.

مجالات العولمة :-

تتعدد مجالات العولمة وتتسع لتشمل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

[١] العولمة السياسية :

لقد ظلت السياسة طوال الفترات السابقة محصورة ضمن النطاق المحلى ومعزلة عن التطورات والتأثيرات الخارجية وتعتبر السياسة من أبرز اختصاصات الدولة القومية فالسياسة محلية بطبعها ولها ارتباطات بالسيادة وممارسة الدولة سلطتها على أفرادها، وفى ظل العولمة كسرت عزلة السياسة وتطرقت إليها العولمة وظهرت العولمة السياسية التى هى " فى جوهرها مرحلة انتقالية لاحقة للعولمة الاقتصادية والثقافية – لقد أصبحت نهاية السيادة والدولة وبروز الحكومة العالمية ممكنة أكثر من أى وقت آخر فى ظل العولمة فالعولمة السياسية لا تعنى القضاء على الدولة أو بروز الحكم العالمى وإنما تتضمن دخول البشرية إلى مرحلة سياسية جديدة يتم خلالها الانتقال الحر للقرارات والتشريعات والسياسات والخيارات عبر المجتمعات والقارات وبأقل القيود والضوابط متجاوزة بذلك الدولة والحدود الجغرافية(١).

ومن الممكن اعتبار هذه المرحلة التى تسمى مرحلة تشكيل للسياسة العالمية مرحلة انتقالية وكلما ازداد الاتجاه نحو العالم السياسى الواحد تتراجع السياسة المحلية ويساعد

(١) عبد الخالق عبد الله، العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مرجع سابق، ص ص ٨٢،٨١.

على تراجعها سهولة انتقال الأخبار من مكان إلى آخر فى جميع الأرض والاهتمام بالأحداث الجارية باعتبارها أخباراً عالمية قد تجذب الانتباه والاهتمام أكثر من الأخبار المحلية وتستحوذ على تفكير البشرية وكذلك انتشار القرارات السياسية بصورة سريعة.

"وترتبط العولمة السياسية ببروز مجموعة من القوى العالمية والإقليمية والمحلية خلال عقد التسعينات والتى أخذت تنافس الدولة فى المجال السياسى وخاصة فى مجال صنع القرارات وصوغ الخيارات وتتنوع هذه القوى أشد التنوع، من أبرز هذه القوى التكتلات التجارية الإقليمية كالسوق الأوربية المشتركة التى تطورت خلال الأربعين سنة الماضية لتشكل وحدة نقدية تعمل من خلال المصرف المركزى الأوربى الذى أنشئ عام ١٩٩٩م ليشرف على عملة اليورو، وذلك بعد أن تنازلت الدول الأوربية طوعاً عن سيادتها فى مجال السياسات النقدية"(١).

وقد ارتبطت العولمة السياسية بظهور قضايا عالمية تحتاج إلى استجابات عالمية ولا تحتاج إلى استجابات فردية ومن أمثلة هذه القضايا والمشكلات مشكلة الزيادة السكانية وزيادة الفقر والضغط على الموارد البيئية ونقصها وتلوث البيئة والتصحر والارتفاع الحرارى وانكماش الأوزون.

ومن أبرز مظاهر العولمة السياسية :

[١] تضاؤل قوة الدولة :

إن الانتقال الحر للأفراد والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات والذى تم خلال التسعينات ربما أدى إلى انحسار نسبى للسيادة المطلقة وربما خلق الانطباع بأن الدولة لم تعد ضرورية وأنها قد فقدت دورها وأهميتها.

(١) عبد الخالق عبد الله، العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، المرجع السابق، ص ٨٣.

[٢] سقوط الحدود السياسية بين الدول :

فالانتقال الحر للأخبار والانتشار السريع للقرارات والتغلغل العميق للتشريعات والتمدد الأفقى والرأسى للسياسات يحدث للمرة الأولى فى التاريخ ويشير إلى سقوط الحدود السياسية بين الدول، ويمثل نموذجاً للعولمة السياسية.

[٣] بروز المنظمات الأهلية غير الحكومية :

فقد برزت المنظمات الأهلية غير الحكومية على الساحة السياسية العالمية كقوة فاعلة ومؤثرة فى المؤتمرات العالمية.

[٤] الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان :

إن المجتمع العالمى يظهر اهتماماً متزايداً بقضية حقوق الإنسان فالإنسان فى دول عديدة يعانى من الاضطهاد والظلم والقهر ومازال مسلوب الإرادة والكرامة(١).

يتضح مما سبق أن العولمة قد تؤثر سياسياً أن تقلص دور الدولة وتعطى لرأس المال مزيداً من الحرية ، لصالح الدول المتقدمة التي تسيطر على سوق المال من خلال تلك الحقوق التى تحددها الولايات المتحدة الأمريكية ويمكن تحكمها في الأوراق المالية بواسطة الشركات متعددة الجنسيات التي لها فروعها في الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة .

العولمة الاقتصادية :

فى ظل النظام العالمى الجديد الذى يرفع الحدود والحواجز الجمركية أمام رأس المال للانتقال فى حرية دون رقابة من الدول، ففى ظل هذه الظروف ازدادت رؤوس الأموال، وتحولت بعض المناطق إلى مناطق جاذبة لرؤوس الأموال وازدادت الهيمنة

(١) عبد الخالق عبد الله، العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، المرجع السابق، ص ٨٠-٨٦.

للشركات متعددة الجنسيات، ولقد كانت المسيرة صوب العلاقات الاقتصادية المعولمة، قد بدأت حينما كانت أوربا لا تزال تصارع الآثار التى خلفتها الحرب العالمية الثانية ففى عام ١٩٤٨م توصلت الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة، المسماة اختصاراً "الجات" وذلك رغبة من هذه الدول فى خلق نظام مشترك للتجارة الدولية لأول مرة فى التاريخ وفى جولات دولية وصل عددها إلى الثمانية حتى الآن والمستغرق كل واحدة منها عدة سنوات، اتفقت الدول المشتركة فى الجات على تخفيض مستمر لتعريفاتها الجمركية فى وغضون السنين التالية ومن هنا فلم تلق هناك أهمية تذكر للضرائب الجمركية بالنسبة للتجارة السائدة بين الدول المتقدمة، وهكذا فقد تأسست منظمة التجارة العالمية، المسماه اختصاراً WTo ومقرها جنيف كبديل للجات لم تعد الحكومات تسيطرعلى القيود الجمركية(١).

فالعولمة الاقتصادية نتاج للفكر الرأسمالي الذي يقوم أساساً على قدرة رأس المال على الحركة دولياً وبدون عراقيل روتينية إدارية أو سياسية، ومن مظاهر العولمة ظهور الشركات متعددة الجنسيات التى تتميز بفائض إنتاج ضخم ونشاط استثماري واسع يشمل الكثير من الدول المتقدمة والنامية وتحتكر هذه الشركات التقنية الحديثة، وقد بلغت استثمارات الشركات متعددة الجنسيات فى العالم ٣٣٪ من إجمالى الاستثمارات على مستوى الاقتصاد العالمي ، وبلغت قوة العمالة بهذه الشركات ٧٣ مليون عامل(٢).

ويتميز عصر العولمة بالتكتلات الاقتصادية مثل السوق الأوربية المشتركة والتى تسعى إلى توحيد عملتها فى اليورو الأوروبى وقد وحدتها بالفعل فى معظم بلدان أوربا بدءاً

(١) هانس، بيتر مارتين، هارلد شومان، " فخ العولمة "، مرجع سابق، ص ٢٠٠.
(٢) أسامة المجدوب ، الجات ومصر والبلدان العربية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م) ص٢٤.

من عام ٢٠٠٢م وكذلك تكتل الدول الأمريكية ما عدا كوبا والرغبة العربية فى إنشاء سوق عربية مشتركة.

وكلما تحرر الإنتاج ورأس المال وكان أكثر قابلية على للتحرك عبر الحدود الدولية كانت الشركات متعدية الجنسيات أقل خضوعاً للحكومة، وبناء على إحصائيات منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية *mnctad* فهناك ما يقرب من أربعين ألف شركة تمتلك مصانع فى ما يزيد على ثلاث دول، ووصلت قيمة مبيعات المائة الكبرى منها إلى ما يقرب من ١.٤ بليون فى العام الواحد وتهيمن الشركات العابرة للقارات على ثلثى التجارة العالمية وينجز ما يقرب من نصف هذه التجارة فى داخل شبكة المصانع التى تعود ملكيتها إلى الشركة الأم، من هذا فإن هذه الشركات قد صارت محور العولمة والقوة الدافعة لها بلا انقطاع(١).

ولقد اتجه العالم لرفع الحواجز والحدود الجمركية رغبة فى تحويل العالم بأكمله إلى منطقة تجارة حرة واستجابت دول العالم لذلك، فأصبح البعد الاقتصادى يحمل بعض القيم الغربية حيث تسعى الدول المتقدمة إلى الهيمنة من أجل أن تسود العالم اقتصادياً من خلال شركات متعدية الجنسيات لتسويق منتجاتها دون عوائق وثقافياً لتهيئة العالم لتقبل فكر الغرب وقيمه سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية.

العولمة الثقافية :

يتجه العالم اليوم إلى إزالة الحدود والسماح بحرية التجارة والتقليل من هيمنة الدول بل يسعى إلى هيمنة أمريكية على العالم ولا تتوقف العولمة على المجال السياسى والاقتصادى لكنها تتعداه إلى المجال الثقافى وذلك لأن انتقال التكنولوجيا من مكان لآخر

(١) هانس، بيتر مارتين، هارلد شومان، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

تنقل معها قيمها التى تعبر عنها وتعد الثقافة من وسائل الهيمنة،و هى سبيل العولمة التى تحاول فرض نموذج أمريكى على العالم، وقد اتضح من وسائل الهيمنة أن العولمة لا تقتصر على الاقتصاد بل تمتد إلى السياسة والثقافة والاجتماع والسلوك البشرى واستخدامنا اليوم لتعبير العولمة لأن فيها عامل فرض مباشر وهذا الفرض ينطلق من قيم حضارية غربية بعضها أورث التسلط وأخطر ما فى هذه الأزمة القيمية وجود العنصرية وفكرة الكسب وفكرة النظر إلى الإنسان على أنه مستهلك.

فالعولمة على الصعيد الثقافى تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة إذا تغطى مختلف جوانب النشاط الإنسانى فهناك اتجاه صاعد يضغط فى سبيل صياغة نسق ملزم من "القواعد الأخلاقية الكونية" ومطروح الآن على الساحة الفكرية العالمية أكثر من مشروع لصياغة هذه القواعد وبعضها مستمد من الأديان السماوية الثلاثة بالإضافة إلى الخبرة الإنسانية الممتدة وما يسمى بالثقافة المدنية(١).

ولهذا فالعولمة تحمل فى طياتها القهر للثقافة أى قهر ثقافة قوية لثقافة أخرى كما حدث، حينما اكتشفت أمريكا بالغزاة الذين حملوا ثقافتهم وقهروا بها ثقافة الهنود الحمر بل وعملوا على إبادتهم واليوم تسعى الولايات من خلال اتفاقية "الجات" لنشر ثقافتها بل وغزو العالم بهذه الثقافة ومحاولة الدفاع عنها ومنع الاقتباس منها ولهذا قامت بإجراءات انتقامية لتطبيق حقوق الملكية الفكرية الخاصة بها فاقتصادياً رجحت الكفة لصالح الشركات متعددة الجنسيات وثقافياً انقلب الاختراق الثقافى إلى غزو ثقافى بكل ما فى الكلمة من معنى وراح منظرو العولمة يتحدثون عن "نهاية التاريخ" و"القطبية العالمية الواحدة" و"النظام العالمى الجديد" و لمشكلة أن ثقافة العولمة من صنع شركات

(١) السيد يسين، " العولمة والطريق الثالث "، مرجع سابق، ص ص ٣٩،٤٠.

احتكارية رأسمالية خلعت ثوب الانتماء القومى بل وحتى الإنسانى فهى تتجه فى ثقافتها إلى العلمانية.

وفى ظل الهيمنة والثورة المعلوماتية والرغبة فى الكسب واكتساح أسواق العالم وزيادة نفوذ الشركات الرسمالية متعددة الجنسيات يتم استغلال الخبرات الثقافية، ففى مجال الحاسوب سيواجه الدارسون بصعوبة وجود العمل فيه وأصبح الاتجاه اليوم إلى استغلال الخبرات الرخيصة فإن المبرمجين فى وادى السيلكون (*Silicon valley*) فى كاليفورنيا خير من يعرف ذلك منذ حين من الزمن فالمسئول عن التطوير لدى مؤسسات من قبل هيوليت باكارد *Hewlett pakard* أو متورولا *Motorola* أو آ ب م. إم *iBM* كانوا قد بدأوا منذ عقد من السنين باستخدام خبراء جدد من الهند بأدنى الأجور، فكانوا يستأجرون فى بعض الأحيان طائرات برمتها لنقل هؤلاء العاملين، وكانوا يسمون مشروعاتهم هذه المقتصدة للتكلفة بـ *Braln shopping* (شراء العقول) .. وغير ذلك فقد نقلت بعض الشركات أجزاء مهمة مما لديها من نظم المعلومات إلى الهند مباشرة(١).

وفى ظل الاتجاه العالمى لفتح الأسواق تبذل جهود خارقة ليتخذ العالم صورة واحدة وسيكون ذلك عن طريق الثقافة بمحاولة توحيد العالم ثقافياً، ولقد لاقى هذا الاتجاه رواجاً لدى البعض ورأى أنه من الخطأ التمسك بالثقافة القومية والانطلاق إلى العالمية ولكن محاولة توحيد الثقافات وفرض ثقافة عالمية واحدة إنما هو ضرب من المستحيل وذلك لأن الثقافة ليست وليدة الحاضر إنما هي ممتدة الجذور في ماضي الأمم ولم تتكون لمجرد الرغبة ولكنها تكونت معتمدة على عادات وتقاليد ومعتقدات دينية وخبرات حياتية تتناسب وظروف كل أمة وكل بلد له ظروفه الاجتماعية والثقافية والجغرافية والاقتصادية

(١) هانس – بيتر مارتين، هارفلد شومان، مرجع سابق، ص ص ١٨٨،١٨٧.

وللخروج من مأزق الهيمنة الغربية ومحاولة تشكيل المواطن العربى بالصورة التى يريدها الغرب بل تريدها أمريكا للعالم كله – يظل هذا الخروج مشروطاً بالأمور التالية :

١- حشد التكتل العربى ضد محاولات الفرقة والتفرقة، سواء من الداخل أو الخارج.

٢- لم شمل النخبة المثقفة وإعادة قنوات الحوار بين فئاتها المختلفة قومية وإسلامية وعلمانية وغير ذلك، وتحاشى الانزلاق إلى القضايا الجانبية واستثارة الحساسيات دون داع حتى لا تغيب عن أنظارنا القضايا الأساسية.

٣- تفعيل قنوات التواصل بين مثقفى المشرق والمغرب واستثمار فكر مثقفى المهجر على اختلاف توجهاتهم وتخصصاتهم.

٤- التصدى لمظاهر إهدار العقل العربى بدءاً من الأمية وانتهاء بنزيف العقول، وما بينهما من فكر الخرافة وشبه العلمية واللاعلمية والانتهازية الفكرية والسرقات العلمية والاستبعاد المعرفى (١).

يتضح مما سبق أن العولمة تستغل الثقافة لتحقيق الهيمنة حيث تنتقل ثقافة الدول المتقدمة مع التكنولوجيا الوافدة إلى الدول الأخرى وتسعى أمريكا إلى فرض النموذج الأمريكى الثقافى فى محاولة لأمركة العالم ويصبح الإنسان فى غير الدول المتقدمة مجرد مستهلك للتكنولوجيا غير مبدع فيها، وثمة محاولات لتكوين ثقافة كونية شاملة لقهر الثقافات الأخرى أمام التيار الثقافى الغربى القوى الذى يحاول دائماً استغلال الخبرات الثقافية لصالحه ولم يعد أمام العرب ومصر سوى إعادة النظر فى ثقافتها ومحاولة النهوض بها مستغلة فى ذلك كافة الإمكانات البحثية --لتقنية الثقافة وتقويتها لمجابهة الزحف الثقافى الغربى.

(١) نبيل على، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق ، ص ٦٤.

آثار العولمة :

تعددت الآثار الناجمة عن العولمة فمنها ما هو إيجابى ومنها ما هو سلبى.

أولاً : الآثار الإيجابية للعولمة :

[١] سرعة الحصول على المعلومات :

العولمة كالثورة العلمية والمعلوماتية تتضمن توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أرجاء المعمورة وبسرعة الضوء وذلك عبر التجارة الإلكترونية والديمقراطية الإلكترونية والتعليم الإلكترونى (١).

[٢] تجديد الثقة فى العلم :

لقد جددت العولمة الثقة فى العلم والتكنولوجيا وأكدت ولادة العولمة أن هذا العصر هو، وربما أكثر من أى وقت آخر عصر العلم والثورات العلمية، فالعلم أثر فى هذا العصر كما لم يؤثر فيه أى عامل آخر، هذا بالإضافة إلى سهولة الاتصال بين أقطار الأرض (٢).

ثانياً : الآثار السلبية للعولمة :

[١] الآثار الاقتصادية :

اتسعت الهوة بين الأغنياء والفقراء على مستوى العالم فى ظل العولمة ويبدو ذلك فى امتلاك البلدان المتقدمة حوالي ٨٠٪ فى المائة من الدخل العالمى، وهى تمثل ٢٠ فى المائة من سكان العالم ولكن المشكلة لا تكمن فى اتساع الهوة بين أثرياء الشمال وفقراء الجنوب فحسب، بل أصبحت بارزة فى المجتمعات المتقدمة نفسها، فالاتحاد الأوربى يعد

(١) عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مرجع سابق، ص ٦١.
(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

أكثر من خمسين مليون فقير، ويتجاوز عدد العاطلين عن العمل عام ١٩٩٧م عشرين مليوناً وهكذا أصبحت أجهزة الاقتصاد المعولة تفرز يومياً عدداً من المهمشين(١).

[٢] الآثار السياسية :

لعل إحدى سمات العولمة كما سبق الاتجاه إلى التكتلات السياسية غير أن هذا الاتجاه تسعى إليه الدول الدافعة للعولمة كما هو الحال فى حلف الأطلنطى الذى تشارك فيه الولايات المتحدة غير أنها تسعى مع هذه الدول إلى استدراج بقية دول العالم إلى التفكك والانقسام والتفتت السياسى فقد برزت ظاهرة الحروب الأهلية ذات الطابع العرقى أو الطائفى، ومع تصاعد قوى اليمين المتطرف فى المجتمعات الغربية مع انتشار العنف والإرهاب الدولى وعصابات ألمافيا العابرة الحدود(٢).

[٣] الآثار الاجتماعية :

لقد صمت المجتمعات الشعارات التى رفعها دعاة العولمة، والتى كانت تبشر بالرخاء الاقتصادى ورفاهية الشعوب، ولم يتحقق من ذلك شئ بل كشفت الشعوب حيل العولمة التى تعمل على تراجع دور الدول فتراجعت الدول عن المكاسب الاجتماعية القديمة "فتدهورت القوة الشرائية لكثير من الفئات الاجتماعية، وازدادت نسبة البطالة والفقر، وليس من الصدفة أن يحشد غلاة الليبرالية جهودهم لتهميش دور النقابات والتخلص من حقوق نقابية مكتسبة، بل أيضاً من حقوق يضمها الدستور مثل حق الإضراب، فعلى الرغم من التقاليد النقابية العريقة فى بلد مثل ألمانيا، فقد خسر الاتحاد العام هناك حوالي خمس أعضائه منذ ١٩٩١م، بل ارتفعت أصوات تنادى بإلغاء الحق فى الإضراب

(١) الحبيب الجناحى، ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثانى الكويت ، ديسمبر ١٩٩٩م، ص ٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٤.

بحجة أن الإضراب لم يعد يتماشى مع عصر العولمة، وأنه يتسبب فى خسارة المشروعات لأسواقها(١).

[٤] الآثار الثقافية :

لقد يسرت وسائل الاتصال المعاصر التواصل الثقافى بين شعوب العالم عبر الأقمار الفضائية وشبكات الإنترنت تلك التى جعلت بعض المفكرين يرى أن العولمة هى تقارب ثقافى بين الشعوب مع توحدهم فى ثقافة مشتركة وما حدث فى الواقع هو اجتياح الثقافات الغربية للثقافات الأخرى وتهديدها والدعوة إلى تعميق ثقافة الغرب الرأسمالى ولهذا لم تتحقق العولمة الثقافية الداعية إلى وحدة الثقافة الكونية وربما يرجع ذلك إلى :

أ – أن الثقافة المعولمة أو التى يراد تعميقها هى فى الواقع ثقافة الغرب الرأسمالى.

ب – أن هويات الشعوب الثقافية تستند على عراقة الحضارات التى تنتمى إليها.

وما العولمة إلا استثمار مكثف لكل أشكال التفوق الغربي، وهذا الاستثمار مجرد من أي معنى إنساني،وهو يستخدم مداخل غير أخلاقية وغير عقلانية أو علمية فى حصد المزيد من المكاسب للغرب الظافر، الذي يريد فرض ثقافته داخل العالم النامي (٢).

وأمام هذه السلبيات اختلف الناس حيال العولمة وانقسموا إلى ثلاثة أقسام قسم يدعو إلى التصدى للعولمة واجتنابها وقسم يدعو إلى الأخذ بها والدعوة والحوار من أجل المشاركة وقسم ثالث ينادى بأن يؤخذ بإيجابيات العولمة وتجنب السلبيات.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢)عبد الكريم بكّار ،نحن والعولمة ، مجلة المعرفة ، العدد ٤٨ (السعودية : وزارة المعارف ، يونيو ، يوليو ١٩٩٩) ص٩٠

عولمة التربية والتعليم :

ثمة صراع مستمر بين العولمة والمحلية، العولمة تقلل من أهمية الحدود، بينما تؤكد المحلية على الخطوط الفاصلة بين الحدود، والعولمة تعنى توسيع الحدود، فى حين أن المحلية تعنى تعميق الحدود، وفى المجال الثقافي والاجتماعي تعنى العولمة انتقالاً للأفكار والمبادئ وغيرها، بينما المحلية قد تميل فى بعض الأحيان إلى منع انتقال الأفكار والمبادئ.

وذلك الغزو الثقافى للقيم وفتح الأسواق وتدفق المعلومات والاتجاه إلى الجودة العالمية كان له آثاره الاجتماعية، فقد أحدثت العولمة تباعداً فى طبقات المجتمع النامى بحيث تتجدد الخريطة الاجتماعية كالتالى :

- فئة باهظة الثراء ترتبط ارتباطاً مباشراً بكل القطاعات الاقتصادية الحديثة التى جلبتها العولمة.
- فئة فقيرة فاحشة الفقر تعيش على ما تخرجه الفئة الغنية من ضرائب للدولة أما الفئة الوسطى فمقدر لها أن تذوب ويصعب فى ظل العولمة تحقق الحراك الاجتماعي.

هذا بالإضافة إلى " أن زيادة الإنتاج نجم عنه أن الاستهلاك فى المجتمع الحديث قد زاد بشكل لم يكن معروفاً فيما سبق كما نجمت عنه مجموعة من القيم تنظم حياة المجتمع فى ضوء زيادة الاستهلاك إذ أن زيادة الاستهلاك ذات قيمة اجتماعية كبرى ومحورٌ لكثير من أجزاء النشاط الاقتصادي[١].

(١) حازم الببلاوى، على أبواب عصر جديد، ط٣ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م) ص ٨٠.

إن تحدى التميز الذاتى والقدرة على المنافسة فى السوق العالمية وإزالة الحدود والحواجز الحمائية قد أوجدت وضعاً جديداً من انكشاف المجتمع العلمى فى مصر لمتطلبات وتحديات الاقتصاد العالمى الجديد.

والتربية هى المسئولة عن مجابهة ذلك ،لأن التاريخ قديمه وحديثه يشهد على محورية التربية فى صنع الإنسان وبناء المجتمع، وقيمة الإنسان هى حصاد معارفه وحضارة المجتمع- بدورها- هى المحصلة الجامعة لمعارف أبنائه التى وهبتها إياهم التربية ويؤكد ذلك – إيجاباً – الموقع البارز الذى تحتله التربية فى دساتير الشعوب، ومواثيق الثورات، وشعارات حركات الإصلاح الاجتماعى والدينى"(١).

أمام تيار العولمة الذى شمل كل مناحى الحياة حتى التعليم، فقد أصبح من المتوقع أن يستجيب التعليم للعولمة ويتراجع دور الدولة فى الرقابة على التعليم أو فرض نمط ثقافى تنقله إلى الناشئة، وقد اتجهت بعض الجامعات العالمية بالفعل إلى منح بعض الشهادات عن طريق شبكات الإنترنت التى تعد إحدى وسائل العولمة للهيمنة وقد أصبح التعليم المحلى فى حاجة إلى شهادة عالمية كشهادة " الإيزو" تحدد فيها مواصفات التعليم والمحتوى الذى يدرّس، وهنا يتحول التعليم إلى وسيلة جديدة للقضاء على الثقافات المحلية وتدعيم الهيمنة الغربية وتزداد مسئولية الدول العربية ومن بينها مصر فى مواجهة مثل هذا التيار الداعى إلى تقليص الهويات والفتك بالثقافات.

المسئولية التربوية لمجابهة العولمة :

إن التربية فى البلدان النامية تعانى من العديد من المشكلات المتمثلة فى زيادة عدد السكان حيث إن التنامى السريع للسكان وانهيار الميزانيات المخصصة للتعليم ونقص

(١) نبيل على، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق ، ص ٢٨٩.

هذه الميزانيات وعدم مناسبتها للمتطلبات التربوية المعاصرة والتى تعطل تطوير الخدمات التربوية الملائمة يضاعف من مسئولية التربية في القضاء هذه المشكلات .

ويزداد عدد السكان فى الدول الأفريقية بشكل كبير وفى مصر يزداد عدد السكان بشكل مطرد حتى تقضى الزيادة السكانية على المخططات التنموية فى مجال التربية.

ولقد بذلت جهود واضحة فى مجال التغلب على مشكلات التربية الناجمة عن الزيادة السكانية وقد بذلت جهود كبيرة لنشر التعليم إلا أنها جهود لا تزال دون ما تطمح إليه أمتنا المعدة للتفاعل الإيجابى مع العولمة أخذاً وعطاءً بما يخدم مصالحها ويحقق أهدافها فى النمو الاقتصادى والتنمية الاجتماعية والنهضة الشاملة(١) و أيضاً من المشكلات التي تواجه الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة مشكلة الأمية التي تؤثر على تقدم هذه الدول ، وما زالت الجهود المبذولة ضعيفة لأن علاجها عندما يستطيع الأمي كتابة اسمه في حين يعد عدم إتقان لغة الحاسب الآلي أمية في بعض الدول المتقدمة .

ولذلك أمام أمتنا تحديات جسام وعلى التربية مجابهة هذه التحديات ولا تتوقف عند الكم فى نشر التعليم حيث إن الوضع الراهن تغيرت فيه سبل المعرفة بتدفق المعارف عبر شبكة الإنترنت، "ومن ثم فإن تنمية التفكير تصبح من أخطر مهمات العملية التعليمية ولم يعد هدفها حشد المعلومات ليكون الإنسان المعاصر ذاكرة موسوعية تأخذ من كل شيء بطرف كما كانت فى الماضي مؤهلات المتعلم فى أزمان السلف(٢) .

ولهذا يقع عبء كبير على عاتق حكومات الدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة وعليها أن تعيد النظر في النظم التعليمية ودور المؤسسات التعليمية

(١)عبد العزيز السنبل ، كيف نواجه العولمة ، مجلة المعرفة (السعودية) العدد (٤٨) يونيو ويوليو١٩٩٩م ، ص ٨٠
(٢) حامد عمار، دراسات فى التربية والثقافة، مرجع سابق ، ص ٤٢.

والإعلامية حتى تستطيع مجابهة ما يفرض عليه من الدول المتقدمة التي تستغل العولمة في التأثير على الدول النامية ، ولهذا فإن هذه الدول تحتاج إلى تطوير شامل لكل جوانب العملية التربوية من أهداف وطرائق وأساليب ووسائل ومحتويات ومعلم ومتعلم ومناهج بحث ووعي شامل بكل جوانب العملية التعليمية وما يخدمها ، ولا بد من تعبئة الجهود المجتمعية وضمان مشاركتها الواسعة ، حتى تستطيع تقليل الآثار الناتجة عن العولمة وغيرها

العولمة والبحث التربوى :

للبحث العلمى أثر فى التعبيرات المعاصرة ،فقد أثر فى هذه التغيرات وتأثر بها ذلك لأن البحث العلمى يؤدى إلى حدوث هذه التغيرات، وهذه التغيرات قد تحقق نوعاً من الرخاء الاقتصادى الذى ترتفع بمقتضاه المخصصات المالية للبحث العلمى فيندفع قدماً إلى الأمام والبحث التربوى أحد البحوث العملية التى تؤثر بدورها فى التغيرات وتتأثر بها ولا يمكن فصله عن التغيرات المعاصرة، لأنه الأداة التى تنتج المعرفة التربوية الجديدة وهو الوسيلة التى بها يتحقق التقدم فى مجال التعليم ومن ثم يؤثر فى شتى مناحى الحياة وذلك لأن للتعليم ثلاثة أهداف استراتيجية عامة يسعى إلى تحقيقها وهى :

(١) أهداف إنسانية : وهى ما ترتبط بالفرد والإنسان وتحقيقها يحقق للإنسان إنسانيته.

(٢) أهداف اجتماعية : وهى ما ترتبط بالمجتمع وتعمل على استقرار المجتمع بنظمه ومؤسساته وتسعى إلى تطويره نحو الأفضل.

(٣) أهداف اقتصادية : وهى التى من شأنها أن توفر للمجتمع ما يحتاج إليه من قوى بشرية على مستوى عال من التدريب والكفاءة الفنية والمهنية والحرفية(١).

ويسعى التعليم دائماً إلى التطوير والمعاصرة ليجعل أهدافه وغاياته وطرائقه مناسبة لروح العصر ولا يتحقق له ذلك إلا عن طريق البحث التربوى الذى يعد موجهاً للتعليم ومحركاً له ومحدداً لاتجاهاته، فالتعليم يحتاج دائماً إلى نظام معلوماتى فائق السرعة يستطيع أن يتعرف على التغيير فى اتجاهات المتعلمين وطرائق تفكيرهم وتحديد الأهداف التى يسعى التعليم إلى تحقيقها ولا يتم ذلك إلا عن طريق البحث التربوى ويهدف البحث العلمى التربوى إلى الوصول إلى الحقيقة ولذلك يعد البحث العلمى التربوى الذى لا يسعى إلى البحث عن الطريق بحثاً أجوف ولا يستوفى شروط البحث العلمى وبذلك يصبح البحث التربوى ذا أثر فعال لا فى التعليم وحده بل فى الكثير من جوانب الحياة التى يؤثر فيها التعليم.

ولم يكن البحث التربوى بمعزل عن تأثيرات العولمة فحينما "ننظر إلى "العولمة" فى مقابل المحلية علينا أن نضع فى الاعتبار نقطة هامة ألا وهى تأثير المنظمات الدولية على البحث التربوى فى السنوات القليلة الماضية، فبعض هذه المنظمات الدولية مستمر فى إجراء البحوث وتطبيق البرامج محلياً .. ولدى الدول المتقدمة اقتصادياً للقيام بدراسات عالمية، والمثل الواضح لهذا ما تقوم به منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECO) حيث ركزت معظم بحثها التربوى ، على صياغة مؤشرات النظم التربوية(٢).

---

(١) مجدى عزيز إبراهيم، تطوير التعليم فى عصر العولمة ، مرجع سابق ، ص ص ١٨،١٩.

(٢) فران فرى، اتجاهات البحث التربوى المعاصر، ترجمة محمد سلامة آدم، مجلة مستقبليات، المجلد ٢٩، العدد ٣ (جنيف: مكتب التربية الدولى، سبتمبر ١٩٩٩م)، ص ٤٥٥.

فاهتمام مثل هذه المنظمات التربوية العالمية بدراسة مؤشرات النظم التربوية على مستوى العالم هو أكبر مؤشر على امتداد أثر العولمة إلى البحث التربوى الذى من الممكن تسخيره لتحقيق بعض أهداف العولمة الرامية إلى الهيمنة ثقافياً واقتصاديا، وتسعى العولمة إلى تدويل المعارف والبحوث العلمية والتربوية والذى ينعكس بدوره بدوره على البحوث التربوية سلباً وإيجاباً فيرى البعض أن اهتمام المنظمات الدولية ومشاركتها فى مجال البحث التربوى قد تكون لها فائدة إيجابية واضحة" فإن احتكاك مجموعات الباحثين من مختلف الدول بهذه الوكالات الدولية قد عاد بالفائدة على تنمية جماعات البحث فى بلدانهم"(١).

ومن المشاركة الإيجابية للعولمة فى مجال البحث التربوى أن العولمة توفر المعلومات من خلال التدفق المعرفى وكذلك ما يطرأ على البحث التربوى من معايير جديدة تتعلق "بإمكانية إثبات الأشياء والتحقق منها واستخراج نسخة طبق الأصل، وإمكانية التحريف والتشويه والوضوح الشديد أو شفافية بروتوكولات البحث" (٢).

وهذه المعايير المتوقعة فى مجال البحوث التربوية سيكون لها مردودها الواضح على البحوث ونتائجها وسوف تختفى التكرارات فى البحوث والنتائج غير الدقيقة وتتجه البحوث إلى مجالات ذات فائدة فى مجال التربية، بل ويصبح البحث التربوى ذا مستوى عالمى فالمعايير التى ستحكمه على مستوى العالم واحدة والنتائج فقط هى المختلفة بحسب حدود التطبيق.

---

(١) فران فرى، اتجاهات البحث التربوى المعاصر، مرجع سابق، ص ٤٥٥.

(٢) أرجون أباديوراى، العولمة والابتكار البحثى، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، اليونسكو، العدد ١٦٠، يونيو ١٩٩٩م، ص ١٢٥.

ومن المتوقع أيضاً أن تتجه البحوث التربوية إلى بحوث الفريق البحثى الذى يعطى نتائج أفضل من البحوث الفردية فى ظل العولمة قد يكون فريق البحث على مستوى العالم تحكمه قيم بحثية وأخلاقيات واحدة، غير أن هذا الاتجاه - تدويل البحث التربوى- تشوبه الشوائب وذلك لأنه فى ظل عدم التكافؤ سوف يصبح هذا التدويل دعماً للفكر الغربى وفرضاً له على مستوى العالم.

وإذا كان الأمر فيه خطورة على الدول النامية من أن تذوب وتنمحى الهوية الخاصة بها ففى الدول العربية الأمر أشد خطورة وذلك لأن الشعوب العربية سريعة التكيف مع ظاهرة العولمة مما يجعل الثقافة العربية فى أزمة حقيقية حيث يتم "بطريقة لا شعورية وتحت أثر تقليد المركز- الدول الدافعة للعولمة - والإبهار بثقافته يتم استعمال طرق تفكيره، مذاهبه إطاراً مرجعياً للحكم دون مراجعة أو نقد"(١).

ولهذا تخضع معظم الأبحاث العلمية والتربوية لمناهج وفلسفات غربية وفى ذلك خطورته على الثقافة العربية والبحث التربوي العربي وفى ظل العولمة تزداد الخطورة حيث تعمق النظريات والفلسفات التربوية الغربية ويزداد أثرها فى البحث التربوي العربي ورغم ما تقدمه العولمة من إيجابيات وخدمات للبحث التربوي إلا أنها تخدم دول المركز بنشر فكرها التربوي والأخطر هو الارتباط الوثيق بين جانبي العولمة الاقتصادي والثقافي ومن هنا تزداد مسئولية البحث التربوي العربى وتشتد خطورة العمل فيه حيث يحتاج إلى فكر ناقد ومحاولة رسم سياسة عربية للبحوث التربوية وإخضاع البحوث التربوية لمناهج عربية خالصة تستطيع الوقوف أما الفكر الغربى الوافد مع تيار العولمة.

(١) حسن حنفى، وصادق جلال العظم، ما العولمة ؟، مرجع سابق، ص ٤٩.

ولذلك كان من الضرورى الاهتمام بالبحث التربوى والنهوض به ولزم وجود بنك للمعلومات على مستوى قومى يساعد الباحثين ويمدهم بالمعلومات المطلوبة عن الإمكانات والقدرات الموجودة فى المجال التربوى.

وكذلك لربط مراكز البحوث بعضها ببعض وربطها بالباحثين وتحقيق التواصل بين الباحثين ومحاولة القضاء على النمطية فى البحوث التربوية، ولذلك كان من الضرورى أيضاعلى المؤسسات التربوية والجامعية أن تستفيد مما تقدمه العولمة من تسهيل سبل النشر والاستفادة بالدراسات السابقة عن طريق الشبكة التى وفرت الاتجاه العلمى نحو العولمة وهى شبكة الإنترنت واستغلال الخبرات العالمية وسبل الاتصال الحديثة فى تدريب الباحثين على البحوث التربوية ومنهجيتها.

ولزم توفير الدعم اللازم للبحوث التربوية حتى تستطيع أن تحتفظ بهويتها ولا تنجذب للاتجاهات الغربية وتتحول من وسيلة لتطوير التعليم إلى وسيلة لدعم التبعية للغرب ومحاولة تكوين نظريات عربية قادرة على مجابهة العولمة الثقافية وإعداد استراتيجية عربية ومصرية تسعى البحوث التربوية لتحقيقها وتحديد الأهداف العامة ووضع خريطة بحثية قومية تمنع تكرار البحوث التربوية مع تشجيع الباحثين بتطبيق نتائج بحوثهم ومنع الشكلية التى تصيب الكثير من البحوث التربوية وإيجاد معجم تربوى شامل للمصطلحات التربوية حتى يكون هناك اتفاق على مدلول كل مصطلح بدلاً من تعدد المصطلحات الإجرائية لكل بحث، وتدريب الباحثين على كتابة تقارير البحوث التربوية بشكل يقبل التطبيق حتى لا يُدفع صانعو السياسة التعليمية إلى الإعراض عن البحوث التربوية المحلية وإهمال نتائجها والسعى للاستفادة من البحوث الأجنبية وكذلك

توفير الدعم المالى اللازم للبحوث التربوية لتمكن من تطبيق أدواتها والوصول إلى نتائج دقيقة.

ثانياً : شبكة المعلومات والتدفق المعرفي إنترنت : *Internet*

يشهد عصر الحداثة أو ما بعد الحداثة تطوراً علمياً وتكنولوجيا كبيراً تضيق فيه الفترة الزمنية ما بين ظهور النظرية وتطبيقاتها إذ يحمل التطور التكنولوجي والاتصال بأنماطه الحالية خطر التبعية الثقافية حيث أصبحت المعلومات تتدفق دون هوادة ولا تمتلك الدولة القدرة على منعها وتتوالى المعلومات فى التدفق شبكة الإنترنت التي تعتبر مجموعة من الشبكات المتصلة ولذلك تسمى شبكة الشبكات ويقدر عدد هذه الشبكات فى الوقت الحالى بحوالى ٥٠٠٠٠٠ شبكة يوجد نصفها تقريباً فى الولايات المتحدة الأمريكية وعدد الحاسبات الرئيسية المتصلة بالشبكة وصل إلي أكثرَ من عشرة ملايين حاسب بالإضافة إلى عدد كبير من الحاسبات الشخصية والمحمولة التى تستخدم للاتصال بالشبكة فى أوقات متفرقة وقد وصل حجم البيانات المتداولة على هذه الشبكة ما يعادل حوالى ٢٠تريليون حرف فى الشهر الواحد، بمعدل زيادة سنوية تصل إلى ١٠٠٪ (١ تريليون = ١٠٠٠ بليون) (١).

والإنترنت أحدث قناة مفتوحة لتداول المعلومات بمختلف أنواعها على المستوى العالمى مما جعل العالم بالفعل قرية إلكترونية صغيرة لا تعرف الحواجز والحدود السياسية وهى تعتمد على اللغة الإنجليزية وتمكن أى فرد أن يتصل بالآخر فى أى مكان فى العالم عن طريق الأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر سواء الموجودة لدى المؤسسات أم تلك التى يمتلكها الأفراد.

(١) محمد أديب رياض غنيمى، شبكة المعلومات، (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٧م) ص ٢٥.

وقد استطاع الغرب وأمريكا تحديداً أن يحقق الهيمنة عن طريق هذه الشبكات التي تتولى نشر الثقافة الأمريكية حيث ترمى أمريكا من ورائها إلى تشكيل العالم على نمط أمريكي مقصود يحقق لها السيادة والهيمنة.

ومن أبرز أشكال هذه الهيمنة(١).

١- معظم المواد وتجهيزات الصناعة التقليدية والإعلام بيد الدول المصنعة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية (الورق – آلات الطباعة – آلات التصوير).

٢- جميع مواد وتجهيزات الاتصال الحديثة بيد المجموعة نفسها ويتحكم فيها كلياً مركز واحد للهيمنة.

٣- جميع تجهيزات المعلوماتية والحاسبية والسبرانية وغزو الفضاء وكذلك المواد الثقافية والمرجعية والمكتبات وبنوك المعلومات بيد مركز الهيمنة.

٤- معظم مصادر البث الإعلامي والأقمار الصناعية ومواد تصنيعها بيد الجهة نفسها.

وتعتبر شبكة المعلومات إحدى وسائل الهيمنة للدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

بداية الإنترنت :

لقد بدأ الاتجاه إلى استخدام شبكات الربط بين الحاسبات البعيدة ومستخدميها فى أوائل الستينات فى الولايات المتحدة الأمريكية " وفى منتصف الستينات فى الولايات المتحدة قررت الحكومة الأمريكية تأسيس شبكة تجريبية لخدمة الأغراض التعليمية العسكرية بصفة أساسية ولتسمح لمواقع الأبحاث والتطوير أن يتصل بعضها البعض من خلال الحاسبات ولأن هذه الشبكة تأسست بواسطة الوكالة الأمريكية

(١) حسام الخطيب، أى أفق للثقافة العربية وأدبها فى عصر الاتصال والعولمة، عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثانى، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩م) ، ص ٢٣٤.

لأبحاث المشاريع المتقدمة *Advanrced Research Projects ajency* فقد استمدت اسمها من الحروف الأولى لاسم هذه الوكالة فأصبح اسم هذه الشبكة *ARPANET* حيث ترمز الحروف الأخيرة *NET* إلى *Network* أى الشبكة وكانت هذه هى الخطوة الأولى أو البذرة الأولى "(١).

" وفى بداية الثمانينات تحولت كل الشبكات الموجودة المتصلة إلى استخدام بروتوكول الاتصال وقد ظهرت شبكة الإنترنت عام ١٩٨٣م واحتوت الشبكة الدولية على ٢١٣ جهاز مضيف Hsts ويقصد بها الأجهزة التى تقوم بتقديم الخدمات على الشبكة وبعد ذلك بثلاث سنوات تقريباً وصل هذا العدد إلى ٢٣٠٨ جهاز "(٢).

وقد ازدادت الأجهزة وازداد معها عدد المستخدمين للشبكة مع زيادة الإقبال على الشبكة حتى وصل العدد إلى ما يزيد على ٩٠ مليوناً ويزداد هذا العدد بشكل مطرد. وتعتمد شبكات الإنترنت على دعامتين هما: نظم الحاسبات ونظم المعلومات وتقوم تكنولوجيا شبكات المعلومات – الإنترنت – على ربط الحاسبات ونظم المعلومات فى أنظمة متكاملة على مستويات مختلفة " فقد تشتمل على المؤسسة الواحدة أو تجمع مؤسسات على المستوى المحلى أو المستوى العالمى أو فى النهاية قد تشتمل على نظام عالمى متكامل وهناك تطبيقات متعددة لهذه الشبكات مثل التعليم والتعلم عن بعد – الاجتماع والمؤتمرات عن بعد – أنظمة المعلومات التعاونية وغيرها "(٣).

وقد بدأت بعض الجامعات فى التطبيق الفعلى لهذا النظام بمنح شهادات جامعية بالدراسة عن طريق شبكة الإنترنت.

---

(١) أيمن العشرى ، شبكة الشبكات ، مرجع سابق ، ص ص ٥ ، ٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٨.
(٣) محمد أديب رياض غنيمى، شبكة المعلومات، مرجع سابق، ص ١٥.

بداية الإنترنت فى مصر:

تعمل شبكة الإنترنت فى مصر منذ عام ١٩٩٣م ودخلت فى البداية عن طريق خط اتصال مباشر *Leased line* مع فرنسا " وفى الوقت الحالى هناك موقعان رئيسيان يعملان كموردى خدمات الإنترنت لباقى المؤسسات والأفراد فى مصر الموقع الأول هو المجلس الأعلى للجامعات (المركز الرئيسى) ويقدم خدماته فى المجالات التعليمية والعلمية والعنوان الخاص بالعقدة الرئيسية لهذا الموقع هو (*freu – eun – eg*) وله سلطة الإشراف على مجموعة من العناوين من الصنف س (*Class C*) يسمح بتوزيع عناوين عدد كبير من المؤسسات بما يصل عدده إلى ٢٥٥ حاسب مضيف (*Host*) والموقع الثانى هو مركز معلومات بمجلس الوزراء ويختصر (*IDSC*) بالاشتراك مع مركز هندسة وتكنولوجيا المعلومات ويختصر (*RITSEC*) ويقدم خدماته إلى القطاعات الحكومية والتجارية فى مصر، وهذا الموقع له سلطة الإشراف على مجموعة من العناوين من الصنف بى (Class B) يسمح بتوزيع عدد كبير جداً من العناوين للحاسبات المضيفة والعناوين الرئيسية الخاصة بهذا الموقع هى (idsc. Gov. Eg) و (ritesc- com – eg)"[(١)].

شبكات المعلومات فى مصر:

إيماناً من مصر بأهمية شبكات المعلومات تم نشر هذه الشبكات فى عدة اتجاهات تخدم الاتصالات والبحث العلمى فى الجامعات ومراكز البحوث وكذلك التعليم والإدارة، ويمكن تحديد شبكات المعلومات فى مصر وهى :

(١) مصطفى رضا عبد الوهاب وآخرون، الإنترنت طريق المعلومات السريع، (القاهرة: المكتب المصرى الحديث، ١٩٩٦م) ص ٥٥.

[١] شبكة الجامعات المصرية :

تم إنشاء شبكة الجامعات المصرية عام ١٩٨٧م بالمجلس الأعلى للجامعات يهدف ربط الجامعات فى مصر بحيث يمكنهم المشاركة فى الموارد المختلفة المتاحة لدى كل الجامعات بالإضافة إلى تنفيذ نظم المعلومات المتكاملة، وقد أشرف على تنفيذ الشبكة وحدة تنسيق العلاقات الخارجية بالمجلس الأعلى للجامعات والتى ساهمت فى إعطاء الدعم الفنى والمادى فى المرحلة الأولى للشبكة وفى عام ١٩٨٩م تم اتصال هذه الشبكة بالشبكة العالمية *Bitnet* من خلال الاشترك فى الشبكة الأوربية الأكاديمية والبحثية *Earn Eurapeun Academic Nelvaph & Research* والتى اندمجت مع منظمة أوربية أخرى وأصبحت تسمى *Terana Trans – Euapean Reasearch education Netvarh*.

[٢] قطاع التعليم والشبكات :

يشهد قطاع التعليم نشاطاً ملحوظاً فى الشبكات وذلك على ثلاثة محاور رئيسية هى : شبكات المدارس – شبكات التدريب والتعليم عن بعد باستخدام نظام مؤتمرات الفيديو (video – conferencing) -شبكات ربط مراكز المعلومات المختلفة والإدارات التعليمية بهدف دعم اتخاذ القرار التعليمي.

[٣] مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء :

يقوم نشاط هذا المركز فى موضوع الشبكات على ثلاثة محاور رئيسية، هى القطاع الحكومى – القطاع الخاص – إنشاء شبكة إقليمية للمنطقة الغربية.

[٤] الشبكة القومية للمعلومات العلمية والتكنولوجية Enstinet :

بالإضافة إلى تولى هذه الشبكة إتاحة اتصال الجهات البحثية التى تتبع وزارة البحث العلمى وأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بالشبكة العالمية إنترنت وذلك عن

طريق اتصالها بشبكة الجامعات المصرية بالمجلس الأعلى للجامعات فإنها تقدم خدمات أخرى مضافة بالنسبة لجميع القطاعات فى مصر

[٥] دور الهيئة القومية للمواصلات السلكية واللاسلكية Enstinet :

تتبع الهيئة الخدمات الخاصة بالخطوط التليفونية المؤجرة ومن خلال شبكة Egyptnat لنقل البيانات تتيح الاتصال عن طريق بروتوكول x-25 (١).

المجتمعات العربية وحاجتها إلى التدفق المعرفي :-

الدول العربية جزء من العالم يسعى إلى اللحاق بركب الحضارة وتحقيق التواصل المعرفي والاستفادة من التغيرات المعاصرة والتدفق المعرفي وتعتبر شبكة الإنترنت نتاج المجتمع الغربى وثمرة من ثمرات التطور التكنولوجي الهائل الذي شق طريقه بقوة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

والمجتمعات العربية أكثر المجتمعات حاجة للتدفق الحر للمعلومات ولتوطيد التكنولوجيا وتوسيع آفاق حرية التعبير وإيجاد ضمانات دولية لتطبيق حقوق الإنسان وحقوق الأقليات ولكن العرب سيجدون صعوبات فى استخدام شبكة الإنترنت وهذه الصعوبات تتمثل فى :

١- القدرة اللغوية على التعامل مع شبكة الإنترنت والتى تتخذ من اللغة الإنجليزية لغة وسبيلاً لنشر معارفها وليس كل العرب لديهم القدرة على التعامل بهذه اللغة.

٢- نقص الخبرات فى استخدام شبكة الإنترنت، حيث إن الكمبيوتر حديث فى بعض الدول العربية ولذلك يحتاج إلى تدريب وخبرة حتى يتمكن المستفيد من استغلاله.

---

(١) محمد أديب رياض غنيمى، شبكة المعلومات، مرجع سابق، ص ص ٦٨ : ٧٢.

٣- نشر بعض القيم المنافية للقيم العربية يؤثر على اتجاه العربى نحو الشبكة والتخوف من استخدامها.

٤- احتكار الغرب للمعرفة والسماح بالقليل منها، حيث تمتلك دول المركز المتحكمة فى المعرفة الكثير منها ولذلك لا تسمح بتدفق المعرفة إلا بقدر محدود يضمن لها البقاء فى القمة.

٥- عجز التعليم العربى عن مواصلة التقدم واستغلال مصادر المعرفة المتنوعة وثمة مخاوف تجاه شبكة الإنترنت و تتمثل هذه المخاوف فى زيادة الاعتماد على شبكة الإنترنت والاستغناء عن الوسائط المعرفية المطبوعة وسوف تتحول الكتب المطبوعة إلى كتب ضوئية على أجهزة الكمبيوتر وسوف تفقد وسائل الإعلام المطبوعة أهميتها نتيجة لهذا التطور الهائل ففى المستقبل سوف تعرض من خلال هذه الشبكة الصحف والمجلات والكتب وسوف يعمل شراؤها بل يكتفى بالاشتراك فقط في الشبكة، غير أن هذه المخاوف قد تحققت بالفعل وبدأت بعض الشركات فى تنفيذها. " فقد بدأت شركة P.C washington فى تنفيذها وتقوم هذه الشبكة بتسويق الصحف والمجلات والنشرات الإخبارية ومعلومات عن المشاريع وقطاع الأعمال عبر الإنترنت(١).

شبكة المعلومات والتعليم والبحث العلمي والتربوى :

يجب أن يساير البحث والتعليم العصر ويعكس روحه فيتوافق مع متغيراته مستجيباً لها ومؤثراً فيها، وينبغى أن تهدف التربية إلى إعداد الفرد للحياة فى بيئة معينة بحيث يتوافق وإياها توافقاً ناجحاً ويتفاعل معها بشكل إيجابي .

(١) فرانك كليش، ثورة الأنفوميديا، ترجمة حسام الدين زكريا، سلسلة عالم المعرفة٢٥٣(الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب، ٢٠٠٠م) ص ٤١٧.

" وحيث إن المدرسة مؤسسة اجتماعية لذا فإن التوتر والبلبلة اللذين يسودان جميع جنبات العالم الآن والقلق الذى يعلو وجوه الناس بسبب ظروفهم الخاصة التى قد تعود إلى عدم وجود تحديد دقيق لأبعاد قضية (الأصالة والمعاصرة) كذا عدم وجود رأى قاطع بالنسبة للتوجهات التى ينبغي الانصياع لها فى هذا الشأن لسوف يؤثر على خطة سير العمل بالمدرسة وعلى نوعية المقررات والمناهج التى تقدمها"(١).

ولن يقتصر ذلك على التعليم بل سيؤثر بدوره على البحث التربوى وطرق معالجته للمشكلات التى تظهر نتيجة للتغيرات وقد تعترض طريق التطوير والتقدم فى مجال التعليم.

وسوف تستخدم المعلومات بصورة فعالة فى تصميم الوسائل والطرق البديلة لتحقيق أهداف المنظمة أو المشروع باستخدام الموارد المتاحة والبيئة المحيطة وما يمكن أن يستجد حولها(٢).

وهنا يبرز دور شبكة الإنترنت فى دعم المنظمة بالمعلومات التى تخدم أهدافها وتحقق غاياتها.

ولذلك من الممكن للمدرسين استخدام الإنترنت وذلك عن طريق :

- الاتصال بمدرسين فى دول أخرى للتعرف على أحدث الاتجاهات العلمية فى مجال التدريس وذلك بعد نشر الوعى الثقافى بين المدرسين وبيان أهمية الشبكة فى تحقيق التواصل بين المدرسين.

---

(١) مجدى عزيز إبراهيم، تطوير التعليم فى عصر العولمة، مرجع سابق، ص ٣٣.
(٢) محمد عبد الغنى حسن هلال، مهارات البحث السريع بالمشاركة، (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية، ١٩٩٩م) ص ١٥.

- التعرف على الإصدارات فى مجال التخصص وذلك بإيمان المدرس بمدى التعرف على أحدث الإصدارات فى مجال تخصصه ليحقق التميز والتقدم فى مجال عمله.
- الحصول على برامج وأفلام تعليمية فى مجال التخصص.

يستطيع المعلم عن طريق شبكة الإنترنت أن يحصل على بعض البرامج التعليمية والأفلام فى مجال تخصصه وقد وفرت وزارة التربية والتعليم فى مصر البرامج والأفلام التعليمية التى يمكن للمتعلم أن يستعين بها.

- التعرف على المتبكرات العلمية.
- استحضار بعض المشاهد التى يصعب الوصول إليها عن طريق الشبكة. يستطيع المعلم أن يستحضر بعض المشاهد والأماكن التى يصعب الوصول إليها وذلك لاستخدمها كوسيلة تعليمية.
- استخدام بعض البرامج العلمية المطورة،انتر يستطيع المعلم من خلال الشبكة والاطلاع على البرامج العلمية على مستوى العالم أن ينتقى أفضل وأحدث البرامج فى مجال تخصصه.
- الاستفادة من الخبرات العالمية فى نظم التقويم والامتحانات باطلاع المعلم على نماذج عالمية فى مجال الاختبارات ونظم التقويم والامتحانات أن يستفيد من هذه النماذج فى مجال عمله بل ويمكنه استشارة الخبراء على مستوى العالم.
- الاستفادة من الخبرات العالمية ومشاهدة بعض التجارب عن طريق هذه الشبكة، يستطيع المعلم مشاهدة بعض التجارب التى يصعب إجراؤها ربما لنقص الخبرة أو لضعف الإمكانات فتيسر له الشبكة رؤية هذه التجارب.

- عقد ندوات مع العلماء فى التخصص ممن يصعب الوصول إليهم، توفر الشبكة أيضاً إمكانية الاتصال بالعلماء على مستوى العالم فيمكن للمعلم أن يعقد ندوة معهم مع توفير الوقت والمال اللازم لاستدعاء هؤلاء العلماء.
- تيسير الإدارة التعليمية وربطها بالمركز، وقد أخذ بهذا المبدأ فى ربط الوزارة بالإدارات التعليمية على مستوى مصر.
- تدريب الطلاب على استخدام الشبكة لتنمية معارفهم.
- تحقيق التعلم المستمر من خلال الشبكة عن طريق تدريب الطلاب على استخدام الشبكة فيمكن تهيئة الطلاب للتعلم المستمر وكذلك المعلم تنمو حصيلته المعرفية باستخدام الشبكة.
- القيام برحلات ترفيهية من داخل الفصل عن طريق الشبكة يمكن القيام برحلات ترفيهية من خلال الشبكة إلى أماكن يصعب الوصول إليها.
- ولا يقتصر استخدام الشبكة على المدرسين بل إن رجال الأعمال فى استطاعتهم استخدامها وكذلك المؤسسات الصحيفة ودور النشر إلى غير ذلك من الاستخدامات الخاصة بشبكة الإنترنت.

فالشبكة تيسر التواصل العلمي وتحقق القدر المطلوب من المهارات التعليمية والبحثية بوفرة المعلومات ولكنها تظل الشبكة الخادمة للدول الرأسمالية فتعمل على تسطيح المعارف وإضعاف الانتماء الوطني وتقليص دور الدولة فى التأثير على المتعلمين وتراجع القيم الوطنية والدينية وتفقد المتعلم ثقته فى ثقافته المحلية، ولهذا نجد " أن تدخل الأدبيات وسيطاً عدسة مكبرة بين الذات والموضوع، تقضى على الذات والموضوع فى آن واحد وتقضى على إمكانية رؤية الذات بوضوح رؤية مباشرة وممارسة قدراتها المعرفية

اعتماداً على قدرتها على التنظير المباشر للواقع، وتقتضي الرؤية التركيز والدقة والوضوح، وليس الغموض ورؤية أشياء وهمية لا وجود لها بديلاً عن الشيء موضوع الرؤية ، يصبح النص بديلاً عن الواقع والخطاب بديلاً عن موضوعه واللغة عالماً مستقلاً عن الأشياء وتصبح الأولوية للعلم الجاهل على الجهل العالم"(١).

وسوف تسهم الشبكة فى نهضة البحوث العلمية والتربوية وذلك عن طريق:

١- ربط الباحث بمراكز البحوث حيث " يوجد فى الإنترنت مواقع متعددة تقدم خدمات منفصلة فى موضوعات محددة لمجالات علمية معينة "(٢).

٢- التعرف على نتائج البحوث والاستفادة منها حيث يتيح الإنترنت فرص الوصول إلى الببلوغرافيات للايين الكتب وتمكنهم من تدقيق المعلومات الببلوغرافية وتحصيلها وفحص العناوين الجديدة وحتى طلبها من المطابع الجامعية(٣).

٣- معرفة الدراسات السابقة لدراسته ومحاولة تحقيق النمو المعرفى حيث يستطيع الباحث عن طريق شبكة الإنترنت الوصول إلى أية مكتبة جامعية أو أية مكتبة بحثية مهمة أخرى وإجراء البحث الببلوغرافى منها.

٤- سهولة النشر والاستفادة من النقد، حيث تيسر شبكات الإنترنت إمكانية نشر النتائج وكذلك إمكانية المشاركة بالأبحاث فى مؤتمرات عبر شبكة الإنترنت حيث يتم فيها الاطلاع على الأبحاث المعروضة واستفادة الباحثين من ذلك.

٥- تقليل التكرار بين البحوث/ بفضل شبكة الإنترنت يستطيع الباحث الاطلاع على الأبحاث السابقة للاستفادة منها وتجنب تكرار البحوث السابقة.

---

(١) حسن حنفى وصادق جلال العظم، مرجع سابق، ص ٢٣٣.
(٢) حامد الشافعى دياب، الإنترنت وشىء من قضاياها فى المكتبات ومراكز المعلومات، المؤتمر العربى الثامن للمعلومات، (القاهرة : ، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م) ص ٣٨٢.
(٣) حامد الشافعي دياب ، مرجع سابق، ص ٣٧٧.

٦- الاستفادة من الخبرات العالمية فى مجال بحثه، توفر شبكات الإنترنت فرصة الاطلاع على الأبحاث التى أجريت فى أنحاء العالم والتعرف على خبرات العلماء فى كل مجال.

٧- توفير الوقت والجهد المبذولين فى البحث وبخاصة عن الدراسات السابقة يستطيع الباحث من خلال شبكة الإنترنت التوصل إلى الأبحاث والدراسات السابقة مستفيداً بسرعة البحث على شبكة الإنترنت فيوفر بذلك الوقت الذى كان يضيع فى البحث عن الدراسات السابقة.

٨- إمكانية وضع خريطة بحثية للجامعات المصرية أو على مستوى العالم عن طريق مؤسسات عالمية.

تستطيع الجامعات المصرية من خلال مواقعها على شبكة الإنترنت رسم خريطة بحثية تمكن الباحثين من الاهتداء إلى أبحاث ذات قيمة توضع على الخريطة البحثية وتمنع تكرار البحوث وتحقق الإفادة منها.

ويستطيع الباحث أن يلمس التغيير فى مجال الحصول على المعلومات عن ذى قبل حيث يجد أن شبكة الإنترنت قد وفرت الجهد والوقت الذى كان يضيع فى السفر وذلك بتوفير المعلومات الخاصة بالبحوث السابقة.

هذا بالإضافة إلى توفير الأموال التى كانت تنفق فى سبيل الحصول على بعض الدراسات السابقة مع توحيد جهة البحث ذات الإمكانات العالية فى الدقة والسرعة مما سهل على الباحثين الحصول على المعلومات والبحث عن الدراسات المطلوبة من مصادرها الأصلية، فيستطيع الباحث فى عصرنا أن يجمع المعلومات من المكتبات فى داخل مصر

عن طريق شبكة الإنترنت حيث توفر بعض المكتبات المصرية الكثير مما تحويه على شبكات الإنترنت وتجعله متاحاً للباحثين.

ويمكن للعاملين في مجال البحوث العلمية أو التربوية الاستفادة من شبكة الإنترنت في تعريفهم بالخبرات العالمية وذلك بوفرة المادة العلمية والدراسات الأجنبية بالإضافة إلى توفير الاستشارة على مستوى العالم مع عقد ندوات عن طريق الشبكة وسيحظى البحث التربوي بإمكانيات وخدمات خاصة على الشبكة وذلك بربط الباحثين ومراكز البحوث بأماكن التطبيق عن طريق الشبكات فيمكن للمعلمين الاطلاع على نتائج الأبحاث التربوية ويمكن للباحثين مناقشة النتائج من خلال تطبيقاتها فى الواقع التعليمي مع إمكانية الحصول على البيانات والمعلومات عن طريق الشبكة فى جزء من الزمن ربما لا يتجاوز نصف الوقت الذى كان سيستهلك عن المعلومات المطلوبة لخدمة البحث التربوى ومع وجود شبكة الإنترنت فى المدارس من الممكن أن يتحقق الاقتناع من المسئولين بنتائج البحث التربوى ويصبح البحث قادراً على تحقيق أهدافه وتطبيق نتائجه.

ثالثاً : الخصخصة :

وتتسع المجالات التى التى تطرأ عليها التغيرات المعاصرة فتشمل الثقافة والاقتصاد والسياسة ، فقد استطاعت العولمة استغلال كل طاقاتها فى محاولة تحقيق الهيمنة الغربية وفرض نظمها الاقتصادية على العالم ولهذا سعت بعض دول العالم إلى إصلاح الاقتصاد وذلك عن طريق الخصخصة.

فقد أصبح تحرير رأس المال والليبرالية والخصخصة الوسائل الاستراتيجية الأوربية والأمريكية التى أعلى من شأنها المشروع الليبرالي الجديد لتغدو أيديولوجية تتعهد الدول لفرضها "وبفعل إيمانهم المتطرف بالسوق رأى الحاكمون فى واشنطن ولندن أن

النظام الذى يأخذ بقانون العرض والطلب هو أفضل الأنظمة المتاحة طراً ، وصار توسيع التجارة الحرة هدفاً بحد ذاته لا يحتاج إلى تفسير وبالتحرير الكامل لأسواق الصرف الأجنبي وأسواق رأس المال(١).

وقد سادت فكرة اقتصاديات السوق التى هى جوهر الرأسمالية " فالنظام الرأسمالى يقوم على اقتصاديات السوق فى حين أن النظام الاشتراكى يقوم على أساس التخطيط وقد يبدو أن النظامين متعارضان تماماً فنظام السوق هو الأخذ بنظام اللامركزية الاقتصادية *Economic decentralization* فى حين أن نظام التخطيط هو تطبيق الفكرة المركزية الاقتصادية *Economic centralization* ويقوم نظام السوق على ما يعرف بسيادة المستهلك *consumer sovereignty* فالمستهلكون يقومون بتوزيع دخولهم من العمل والملكية أو أيهما على السلع والخدمات المختلفة بحسب أذواقهم وبما تحقق لكل منهم أكبر إشباع ممكن وفقاً لسلم ترتيب أفضلياته(٢).

ومع التغييرات العالمية التي تسود مجالات الحياة المختلفة سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية ومنها السوق الحرة والتكتلات الاقتصادية متمثلة في الشركات متعددة الجنسيات ، فقد أدى هذا إلى انتشار الرأسمالية في البلدان النامية حتى تستطيع مواكبة ما يحدث داخل الدول المتقدمة وذلك عن طريق خصخصة القطاع العام بداخلها ، بالرغم من المشكلات التي يسببها ذلك ومنها تقليص العمالة الموجودة في هذا القطاع وأدى هذا إلى ارتباك الأسواق وقطاع الأعمال وزيادة البطالة بين أفراد المجتمع .

(١) هارتس بيتر مارتن، هارلد شومان، فخ العولمة، مرجع سابق، ص ٢٠٢.
(٢) حازم الببلاوى، على أبواب عصر جديد،مرجع سابق ، ص٨٩.

دوافع وأهداف الخصخصة :

لم تنشأ الخصخصة من فراغ ولكن وجدت بعض الدوافع والعوامل التى أدت إلى الاتجاه إليها" وبمعاينة الدول التى اتجهت نحو الخصخصة يتبين بأن هناك دافعين أساسيين للخصخصة، الدافع الأول يعود إلى تضخم القطاع العام وصعوبة مواكبة مصروفاته المتنامية، والدافع الثانى يرجع إلى بروز قناعة دولية (وخاصة بعد ما أخفق النظام الاقتصادى كبديل للإدارة الاقتصادية) بأن إدارة الأنشطة الاقتصادية تتطلب مهارات تجارية ومالية وإدارية وفنية عالية، التوجه نحو العملاء، وهى صفات يفتقر إليها القطاع العام"(١).

ويتبين من ذلك أن الدوافع هى :

١- تضخم القطاع العام.

٢- الاقتناع بالرأسمالية كبديل للاشتراكية التى فشلت فى بعض الدول

أما عن أهداف الخصخصة فتختلف من دولة إلى أخرى حسب إمكاناتها وطبيعتها والدافع إلى هذا الاتجاه. فتهدف الخصخصة إلى فتح مجالات جديدة لمشاركة القطاع الخاص وتوسعة نطاق المنافسة وتوطين رؤوس الأموال المحلية وجذب رؤوس الأموال الأجنبية وخلق فرص عمل جديدة .

ومن أهداف الخصخصة : (٢)

١- تقليص المصروفات الحكومية وزيادة الإيرادات العامة.

٢- رفع الكفاءة الإنتاجية للأنشطة الاقتصادية.

٣- رفع مستوى الخدمات وتطوير خدمات المشتركين أو العملاء.

---

(١) مهدى إسماعيل الحزاف، الجوانب القانونية للخصخصة، مرجع سابق ، ص ٢٩٢.
(٢) مهدى إسماعيل الجزاف، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

٤- توسعة نطاق مشاركة المستثمر المحلى والأجنبى فى الأنشطة الاقتصادية.

٥- توفير فرص عمل حقيقية على المديين المتوسط والطويل للعمالة الوطنية.

٦- إعادة توزيع ثروات البلاد على شرائح أعرض من المجتمع.

٧- تقليص دور الدولة فى النشاط الاقتصادى.

٨- تنمية سوق رأس المال.

بدأت مصر تطبيق الخصخصة من خلال بيع بعض شركات القطاع العام التي كانت تمتلكها الدولة وذلك بتوسيع نطاق مشاركة المستثمر المحلي والأجنبي في الأنشطة الاقتصادية وتقليص دور الدولة فى النشاط الاقتصادي غير أن الاتجاه إلى الخصخصة لم يوفر فرص عمل بل كان مسبباً فى زيادة نسبة البطالة نتيجة للاستغناء عن بعض العمال ولم يحدث أن تم توزيع ثروات البلاد على شرائح أعرض من المجتمع غير أنه من الملاحظ أن ثروات البلاد قد تجمعت فى أيدي بعض أفراد المجتمع وهم المستثمرون .

مجالات الخصخصة :

لا تقتصر الخصخصة على جانب دون آخر بل تشمل كل مجالات الحياة من صحة وتعليم واتصالات سلكية ولاسلكية وشبكات الصرف الصحي والمياه والصناعات بأشكالها والزراعة والسياحة والنقل البرى والجوى والبحري.

ومن أشكال الخصخصة : (١).

(١)محمد رياض الأبرش ونبيل مرزوق،الخصخصة آفاقها وأبعادها،(دمشق:دار الفكر،١٩٩٩م) ص ص١٦٧: ١٧١

(أ) تخصيص الإدارة : ويتضمن :

١- عقود الإدارة : وهى العقود التى تبرمها الحكومة أو الجهة العامة مع المؤسسات والأفراد المحليين والأجانب لإدارة المنشأة العامة لقاء أجور محددة أو نسبة من العائدات.

٢- التأجير : وتتيح عقود التأجير استثمار الموارد والأصول من قبل القطاع الخاص، لقاء رسوم أو أجور محددة من قبل الدولة.

(ب) البيع الجزئي :

تلجأ بعض الحكومات إلى بيع جزء من أسهم أو حصة المنشأة العامة كخطوة تمهيدية نحو نقل الملكية إلى القطاع الخاص بشكل كامل ويكون الغرض أحياناً إقامة قطاع مشترك ومشاركة القطاع الخاص فى الإدارة.

(جـ) نقل الملكية أو الإدارة والعمال :

لجأت الحكومة التشيكية وبعض الحكومات فى رابطة الدول المستقلة ودول أوربا الشرقية إلى خصخصة المنشآت العامة الصغيرة نسبياً بنقل ملكيتها إلى الإدارة والعاملين فيها.

(د) الاكتتاب :

طرحت بعض دول أوربا الشرقية اكتتاباً عاماً على المنشآت المطروحة للخصخصة على المواطنين بشكل عام وذلك من منطلق توسيع قاعدة الملكية.

(هـ) البيع الكلى المباشر :

وهو أكثر الطرق انتشاراً لنقل الملكية حيث شكلت خلال السنوات الماضية حوالى ٨٠٪ من إجمالى المعاملات خلال السنوات (١٩٨٨-١٩٩٣) ونحو ٥٨٪ من إجمالى الإيرادات وشكلت هذه الطريقة أيضاً ٨٦٪ من إجمالى المعاملات عام (١٩٩٤).

تكاليف الخصخصة وآثارها فى الدول العربية :

رغم أن الدافع لعملية الخصخصة هو إيجاد موارد إضافية للدولة لتسديد مديونيتها والقضاء على الدين وتقليص أعبائه هذا بالإضافة إلى توفير موارد كافية للقيام بمشروعات عامة فى البنية التحتية أو غيرها إلا أنه قد تبين من " تجارب العديد فى هذا المجال محدودية الأثر المادى ، والعائد الصافى لتلك المبيعات بالمقارنة مع العائد السنوى لأرباح تلك المشروعات ، فإن العائد الصافى لمبيع هذه المشروعات لا يتناسب مع الإيرادات المتوقعة بل يشكل خسارة فعلية لتدفقات سنوية تسهم فى تمويل الموازنة العامة للدولة حققت الشركات الصناعية (١١٥) المطروحة للبيع فى مصر ربحاً صافياً للدولة يقدر بـ ١٧٠٠ مليون جنيه مصرى عام (١٩٨٩/١٩٩٠) وكانت محصلة عمل هذه الشركات (٧) شركات خاسرة بلغت خسارتها (٨٠) مليون جنيه فى حين حققت (١٠٨) شركة ربحاً صافياً خلال الفترة نفسها إذن بيع الشركات يفقد الموازنة تدفقاً سنوياً بقيمة (١٧٠٠) مليون جنيه(١).

ويتضح من ذلك أن مردود الخصخصة بالمقارنة بربح الشركات الدائم – قليل ويشكل خسارة حيث كان المردود لا يناسب الأرباح وقد كان عائد بيع الشركات أقل من الأرباح المتوقعة من هذه الشركات.

وقد ترتب على نقل الملكية فى الدول العربية ما يلى (٢):

١- ازدادت مديونية الدول العربية من ١٤١٤١٧ مليون دولار عام (١٩٩٠) إلى ١٥٧٧٣٨ مليون دولار عام (١٩٩٥).

٢- ازدادت معدلات البطالة والفقر.

---

(١) محمد رياض الأبرش ونبيل مرزوق، مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

٣- لم تتحسن معدلات الاستثمار.

٤- مازالت معدلات النمو الاقتصادي منخفضة بدرجة كبيرة.

٥- أصبحت الدول العربية ذات قدرة محدودة على دفع عملية التنمية وتوجيهها نتيجة لتطبيق برامج التعديل الهيكلي.

٦- ضعف القدرة على تحقيق التكامل الاقتصادي العربي.

قد تكون الزيادة فى مديونية البلاد العربية بسبب الخصخصة وذلك لاهتمام بعض الدول العربية باستغلال العائد من بيع الشركات فى تكملة البنية التحتية مما جعل بعض الحكومات تلجأ إلى الدين الخارجي والذي أدى إلى زيادة المديونية.

وقد أدى نظام الخصخصة إلى زيادة نسبة البطالة التى نتجت عن استغناء المؤسسات الخاصة عن الكثير من العمال والموظفين الذين خلقهم القطاع العام ولم يود ذلك إلى تحسن معدلات الاستثمار فقد قفز إلى الساحة بعض المستثمرين الانتهازيين حيث لجأ هؤلاء إلى الاقتراض من الدولة دون إحداث أى تنمية اقتصادية مما أدى إلى صعوبة تحقيق تنمية اقتصادية وتكامل اقتصادي عربي.

الخصخصة ما بين المؤيد والمعارض :

تختلف وجهات النظر حول الخصخصة فثمة آراء تلمح فى الخصخصة خروجاً من مأزق الفشل الذى وقع فيه القطاع العام وآراء ترى أن القطاع العام هو صمام الأمان للاستقرار وأمن المجتمع وسلامته ولكل مبرراته.

مبررات وجود القطاع العام : (١).

١- أن وجود قطاع عام أمر ضروري لقيادة التنمية وتوجيهها فى المسارات التى تكفل بناء قواعد متينة للنهضة الزراعية والصناعية والاجتماعية المستقلة على المدى الطويل ولقد بات من المؤكد فى ظروف دول العالم ومصر خصوصاً أن غياب القطاع العام يعنى عدم قيام الصناعات الاستراتيجية.

٢- من الأسباب التى دعت إلى قيام القطاع العام فى الماضي ولم تفقد وجاهتها فى الوقت الراهن الحاجة إلى دفع الاقتصاد دفعة كبرى إلى الأمام بتنفيذ برنامج استثماري ضخم ومتنوع.

٣- ومن الاعتبارات المهمة التى دعت إلى قيام قطاع عام لدفع عجلة التنمية مع حماية المجتمع من شرور الاحتكارات الخاصة والتركيز فى الثروة.

٤- أن وجود قطاع عام كبير ومؤثر أمر ضروري للسيطرة على الموارد الاقتصادية الوظيفية وامتلاك هذه السيطرة مطلب أساسي وضرورة موضوعية فى أية دولة تسعى إلى القضاء على روابط التبعية وإرساء قواعد الاستقلال.

٥- أن إقامة قطاع كبير ومؤثر ضمانة ضرورية لفاعلية التخطيط الذي ينعقد الإجماع على أن قدراً منه ضروري في كل الأحوال.

٦- قيام القطاع العام كان ولا يزال ضرورياً لتمهيد المناخ السياسي الملائم للتنمية المستقلة ولقيام المشاركة الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وهما عنصران وهدفان رئيسيان من عناصر وأهداف التنمية المستقلة.

(١) حازم الببلاوى، التغيير من أجل الاستقرار، مرجع سابق ، ص ص ١٢٤ : ١٢٩.

٧- ينبغي أن يضاف سبب آخر إلى الأسباب السابقة فالعالم الثالث اليوم فى أزمة طاحنة نتيجة للطريق الخاطئ للتنمية الذي سار فيه الكثير من بلدانه ، والذي كان من أخطر سماته الإفراط فى الاستدانة الخارجية وإهمال حشد الموارد وتعبئتها لزيادة الطاقات الإنتاجية.

٨- إضافةً إلى ما تقدم تجدر الإشارة إلى أن النظرة المستقبلية بعيدة المدى تقتضي بقاء القطاع العام وتوسعه المستمر وأن وجود القطاع العام ونموه المستمر هو أمر تفرضه فى المقام الأول حاجات الأمن القومي الذي ارتبط على الدوام بوجود دولة مركزية فى مصر.

ونتيجة لإحساس الكثير بأهمية القطاع العام ظهرت الاعتراضات على الخصخصة والتى ترى أن الخصخصة قد تسهم بتضخم رؤوس الأموال فيطغى على السياسة ولهذا تظهر المخاوف من الخصخصة كنظام اقتصادي وظهور الآراء غير الواثقة فى كفاءة هذا النظام فى تحقيق ما يحلم به البعض وثمة آراء مؤيدة للخصخصة ترى أن هناك مشكلات فى التنفيذ أخطر من الاختلاف على مبدأ الخصخصة تضعه بعض الاعتبارات التى يجب الأخذ بها ووضعها فى الحسبان وهى : (١).

١- أن زيادة دور القطاع الخاص ليس معناه تقليص دور الدولة بل على العكس المطلوب هو زيادة دور وكفاءة تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

٢- أن زيادة دور القطاع الخاص ليست مطلوبة لذاتها، إنما لما تحققه المنافسة والكفاءة من ترشيد فى استخدام الموارد الاقتصادية ولذلك فإنه لا ينبغي أن يؤدى توسيع دور القطاع الخاص إلى إهدار اعتبارات الكفاءة والمنافسة.

(١) حازم الببلاوى،التغيير من أجل الاستقرار،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨م) ص ص ١٢٩ : ١٣١.

٣- أن قيام القطاع الخاص بدور، لا يعنى فقط السماح له بفرص جديدة ومزايا خاصة وإنما يعنى أن يتحمل مسئولية كاملة، وبوجه خاص ينبغي التذكر أن أهم ما يميز اقتصاد السوق ليس فقط سعيه إلى الربح وإنما أيضاً قدرته على تحمل الخسائر.

٤- أن الأهداف الاجتماعية لا تقل أهمية عن الأهداف الاقتصادية فى الكفاءة وزيادة النمو، بل إن تحقيق الاستقرار الاجتماعي والشعور بالأمن الاقتصادي أمر لا غنى عنه لكل نمو اقتصادي.

٥- أن المشاكل التنفيذية لتحويل القطاع العام إلى قطاع خاص ليست أقل أهمية من المسائل المبدئية فينبغي الحرص فى اختيار معايير الشركات التي تختار لهذا الغرض.

ويرى الباحث أنه من الأفضل الإبقاء على القطاع العام بجوار القطاع الخاص لضمان المنافسة مع محاولة إصلاحه ومتابعة إدارته حيث إنه يمثل الاستقرار الاجتماعي وضمان سلطة الدولة فى الرقابة ومتابعة الأسعار ومنع الاحتكار ويحقق الدخل المستمر للدولة فيمكن توظيفه فى تسديد الديون والقيام بالمشروعات فى البنية التحتية ومنع الاحتكار وضبط الأسعار، وبالإدارة الجيدة وحسن المتابعة يمكن تقليل الخسائر فى شركات القطاع العام، أما الخصخصة فقد تؤدى إلى الاحتكار والتدخل فى الشئون السياسية لارتباط السياسة بالاقتصاد هذا بالإضافة إلى أن القطاع العام يضمن الاستقرار السياسى بخلاف الخصخصة رغم زيادة الأموال إلا أن الوضع لا يدعو إلى الطمأنينة والاستقرار حيث تؤدى الخصخصة إلى الاستغناء عن العديد من العمال وقد ظهر ذلك فى محاولات الحكومة للإصلاح الاقتصادى.

" وقد سارت الحكومة فى إصلاح الشركات العامة المراد بيعها فى طريقين: أولهما التخلص من العمالة الزائدة بها عن طريق برنامج المعاش المبكر فضلاً عن عدم إحلال ما يخرج من العمال من الخدمة لأسباب طبيعية كالتقاعد والوفاة والمرض المزمن، وثانيهما سداد جانب من مديونية الشركات للبنوك وكان من المقرر فى المراحل الأولى للخصخصة أن توجه حصيلة بيع الشركات الرابحة لتمويل ما يسمى بإعادة هيكلة الشركات غير المباعة أى تمويل برنامج المعاش المبكر وسداد أو إعادة جدولة الديون المستحقة على الشركات للبنوك وهذا القرار سرعان ما تعدل بحيث لم يعد يخصص لهذا الغرض سوى ثلث حصيلة البيع بينما يتوجه الثلثان إلى الخزانة العامة لسداد جانب من الدين العام وربما لتمويل بعض الأنشطة الأخرى للحكومة.

مكانة الدولة فى ظل الخصخصة :

لقد عاشت مصر فى ظل النظام الاشتراكي فترة من الزمن كانت الدولة هي المسئولة عن التجارة وتمثل دور الدولة فى القطاع العام الذي أنشئ لضبط الحركات التجارية فى مصر، ولما اتجهت مصر إلى الخصخصة والى اقتصاديات السوق تغير دور الدولة فأصبحت النظرة تختلف فثمة آراء ترى أن الدولة تراجع دورها ولم تعد مهيمنة على السوق كما كانت من قبل بل لم تعد لديها القدرة على السيطرة على رؤوس الأموال.

و دور الدولة لم يتقلص وإن تغير فما زالت الدولة هي ذات السلطة وتقليص دور القطاع العام ليس تقليصاً لدور الدولة، بل على العكس فإنه يتيح الفرصة لكي تتدخل الدولة بسياساتها الواعية لضبط نشاط القطاع الخاص " فإذا كان تحديد دور الدولة الاقتصادي فى ظل السوق وهو ما يبدو أنه أصبح من المتعارف عليه مناقشته حالياً تحت اسم التخصصية يتطلب تخلى الدولة عن دورها كمنتج بشكل عام، فإنه لا يعنى البتة أن

تتخلى عن دورها كسلطة تتمتع – وحدها دون غيرها – بحق القهر المشروع فللدولة دور اقتصادي لا بديل عنه فى نظام السوق وهو دورها كسلطة وليس كتاجر أو منتج "(١).

غير أن دور الدولة قد تراجع فى ظل الخصخصة حيث ضعفت قدرة الدولة على التحكم فى الأسعار ومراقبة الأموال.

التعليم والبحث العلمي والتربوي فى ظل الخصخصة :

تشتمل الخصخصة كل مجالات الحياة الاقتصادية بما فى ذلك الجوانب الاقتصادية للثقافة، فللثقافة جانب اقتصادي مهم، فالكتاب والفيلم والفيديو قد أصبح سلعة رئيسية يمكن أن تكون أحد أهم الصادرات، فأهم صادرات الولايات المتحدة بعد الطائرات هى الخدمة الإعلامية (كتب- تليفزيون- اسطوانات- صحافة).

وتستطيع مصر أن تطور هذه الصناعة المهمة فى مجال الثقافة فصناعة الكتاب وإنتاجه وكذلك الاسطوانات مجال تستطيع من خلاله المنافسة "وقطاع التعليم يدعم التوجه إلى الخصخصة والاعتماد على آليات السوق، بل يمكن القول إنه يسبق الدولة ببضع خطوات فى هذا المضمار وقد تمثل ذلك فى حركة إنشاء المدارس الخاصة – بأنواعها ومستوياتها الرئيسية – وخاصة فى مرحلة التعليم الأساسى، كما تمثل فى إنشاء ما يسمى "التعليم المفتوح" والمعاهد الخاصة والتخطيط لإنشاء الجامعة الأهلية، وكذلك فى التحريك التدريجى لرسوم الدراسة والامتحانات فى مدارس الدولة وجامعاتها"(٢).

وقد ظهر ذلك جلياً فى المدارس الخاصة التى انتشرت فى مصر فى الآونة الأخيرة والتى هدفت إلى الربح فى المقام الأول، وقد اتجهت بعض الدول نحو خصخصة التعليم

(١) حازم الببلاوى، دور الدولة فى الاقتصاد، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م) ص٤٩.
(٢) فايز مراد مينا، التربية والتغير الاجتماعى فى مصر، المؤتمر الأول للعلوم التربوية والنفسية، كلية التربية بكفر الشيخ، جامعة طنطا، ٥-٧ فبراير ١٩٩٤م، ص ٥.

كالولايات المتحدة الأمريكية حيث يسير التعليم على نهج صناعات أخرى مرت بموجات من الإصلاح سببها المنافسة ووسائل التشغيل، ووسائل الاتصال والنقل والرعاية الصحية.

" وتقدر مؤسسة إيديو فينشرز بأن شركات التعليم الربحية حققت عام ١٩٩٨ عوائد بلغت ٨٢ بليون دولار أمريكى بزيادة قدرها ٢٥٪ عن عائداتها لعام ١٩٩٧م، ومن المتوقع أن تصل عائدات هذه الشركات إلى ٩٩ بليون دولار أمريكى هذا العام (١٩٩٩م) لترتفع بعد ذلك إلى ١٢٣ بليون دولار أمريكى بحلول عام ٢٠٠٠م"(١).

وثمة توقعات مستقبلية للمزيد من الاستفادة من الثورة الحالية فى مجال المعلومات والاتجاه بالتعليم نحو الاستثمار والخصخصة وحينما تهيأ المدارس على أنظمة حديثة قادرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة " فإن طريق المعلومات السريع سوف يساعد على رفع المقاييس التعليمية لكل فرد من الأجيال القادمة، وسوف يتيح الطريق ظهور طرائق جديدة للتدريس ومجالاً أوسع للاختيار وسيكون بالإمكان توفير مقررات دراسية عالية الجودة بتمويل حكومى مجاناً، وسيتنافس البائعون من القطاع الخاص على تجويد المواد المجانية، ربما كان البائعون الجدد مدارس حكومية أخرى، أو مدرسين بالمدارس الحكومية أو مدرسين متقاعدين يعملون لحساب أنفسهم أو برامج للخدمة المدرسية المعتمدة على طريق المعلومات السريع، والمدارة من قبل شركات خاصة تريد أن تثبت إمكاناتها"(٢).

وسوف يساعد هذا الاتجاه الطلاب والمعلمين على سرعة الحصول على المعلومات وربما ساعدت الخصخصة على تقديم برامج تعليمية متطورة لصالح الشركات الخاصة من

---

(١) مارك دوش، الشركات الربحية تصلح التعليم، ترجمة مجلة المعرفة، مجلة المعرفة، (العدد ٥٠) (السعودية وزارة المعارف ، أغسطس ١٩٩٩م) ، ص ص ٥٤ ، ٥٥.

(٢) بيل جيتس، " المعلوماتية بعد الإنترنت (طريق المستقبل) ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٣١) (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، مارس ١٩٩٨م) ص ٣٢٠.

أجل الدعاية كما فعلت بعض الشركات الأمريكية التى قدمت شبكات الكيبل للمدارس التى تقع فى إطار عملها.

وقد ظهرت بعض اتجاهات الخصخصة فى التعليم فى مصر حيث ظهرت المدارس الخاصة التى تقدم البرامج التعليمية بشكل أفضل من المدارس الحكومية.

وتشمل الخصخصة حتى مجال البحث العلمى التربوى فيتأثر بهذا الاتجاه حيث يتوقع أن يدفع الاتجاه إلى إعداد البحوث الخاصة بالمنشأة الصناعية أو المؤسسة التجارية أو حتى المؤسسات التعليمية الخاصة والممول من قبل أصحاب هذه الهيئة، ونتيجة للشبكات المعلوماتية لم يعد البحث العلمى التربوى فى العصر الحديث عمل فرد عبقرى بقدر ما هو نتيجة لعمل مجموعة من الباحثين فى فروع مختلفة ومتكاملة " وبحيث يتوافر لها إمكانيات مالية ومعملية ضخمة تمكنهم من إجراء البحوث والتجارب وهكذا نجد أن البحث من أهم المجالات التى تظهر فيها مزايا الإنتاج الكبير "(١).

وشبكة الاتصال "الإنترنت" تمثل أحد وجوه خصخصة المعرفة حيث لقيت البحوث مساعدة كبيرة من الإنترنت نتيجة لما قدمته من إمكانيات الباحثين للاتصال بشتى المراكز البحثية والحصول على المعارف وبذلك يتأثر البحث العلمى بالاتجاه إلى الخصخصة وتترك الخصخصة آثارها عليه إيجابية وسلبية.

الآثار الإيجابية للخصخصة :

١- توفير المعلومات للبحث : حيث تتجه شركات القطاع الخاص إلى الاهتمام بالبحث العلمى وكذلك الاهتمام بتوفير المادة العلمية واعتبارها سلعة تتم فيها المنافسة لتحسين وتجويد العرض وذلك بتوفير الاتصال عبر شبكات الإنترنت "

(١) حازم الببلاوى، على أبواب عصر جديد، مرجع سابق، ص ٥٩.

وهى عبارة عن وسائط قوية لجمع معلومات لأداء السوق أو المنتج أو البحث التنافسي ، وكتابة لأى فرضي أو كتاب أو فهم اتجاهات السوق . فبدلاً من الذهاب لمكتبة وقضاء ساعات فى محاولة لإيجاد المعلومة الصحيحة والتى غالباً ما تكون قديمة بمرور الوقت الذى نشرت فيه يمكن للمستعلمين الوصول للمعلومة الحالية فى حدود دقائق"(١).

٢- توفير الدعم اللازم للباحثين عن طريق المؤسسات الخاصة

تحتد المنافسة وتسعى كل مؤسسة إلى تجويد المنتج وتحسين سبل عرضه فتلجأ إلى الدراسة العلمية وإجراء البحوث وتوفر للباحثين الدعم اللازم للاستفادة بنتائج أبحاثهم.

٣- التشجيع على البحث العلمي التربوي لصالح المؤسسات الخاصة

تستفيد المؤسسات الخاصة من نتائج الأبحاث فتشعر بقيمة الأبحاث العلمية فتشجع عليها وتعمل على تنشيطها ودعمها.

٤- سهولة الاتصال بين الباحثين عبر شبكة الإنترنت

تعمل الشركات الخاصة بفضل ما تمتلكه من إمكانيات مادية على توفير خطوط وشبكات الإنترنت وذلك يهيئ الفرصة للباحثين للاتصال بغيرهم من الباحثين على مستوى العالم عبر هذه الشبكة.

٥- التغلب على الكثير من المشكلات البحثية كندرة المادة العلمية والقصور المادي والإمكانات.

(١) فاروق سيد حسن، الإنترنت الشبكة العالمية للمعلومات، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م) ص ص ٦١،٦٢.

سيوفر الدعم المادي للباحثين وكذلك الاتصال عبر شبكة الإنترنت والاستفادة بالمعلومات المعروضة من خلال الشبكة وستعمل المؤسسات الخاصة على توفير الإمكانات اللازمة للبحث للاستفادة به ولارتباطه بخدمات المؤسسة.

٦- الاتجاه إلى التميز فى البحث تلبية لسوق العمل:

يخضع سوق العمل لمقاييس الجودة والعرض والطلب ففي ظل العولمة سيكون الدافع للبحث العلمي والتربوي هو التجويد والتحسين فى مجال العمل ولذا سوف يتجه البحث إلى التميز ليحقق ما تطلبه المؤسسات الخاصة.

٧- ربط البحوث العلمية التربوية بالواقع ومحاولة تطبيعها

سوف تصبح البحوث العلمية وثيقة الصلة بالواقع لأنها أجريت خصيصاً لمشكلات واقعية ترغب المؤسسات فى مجابهتها، وسوف يتم تطبيق النتائج للتغلب على المشكلات.

٨- الاهتمام بالقضايا الماسة الملحة :

سوف تجرى البحوث على المشكلات الملحة والشديدة حسب أهميتها وضخامة أثرها وسوف تتجنب القضايا التافهة.

٩- بث روح التنافس بين الباحثين :

يسعى الباحثون إلى التجويد فى أبحاثهم والمنافسة لإظهار التميز فى نتائجهم، نظراً لاهتمام أصحاب الشركات الخاصة بالأبحاث الجيدة ذات النتائج الصادقة

١٠- الإحساس بقيمة البحث وجدواه ينشط الباحث للعمل

يشعر الباحث بأهمية بحثه وسيؤدى إلى نشاطه واهتمامه ببحثه للاهتمام بالبحث العلمي وتطبيق نتائجه

١١- سرعة إنجاز البحوث :

المشكلات الواقعية فى المؤسسات تجرى لها البحوث من أجل حلها ولهذا سيتجه الباحثون إلى الإسراع فى إنجازها للتغلب على المشكلة لأن الوقت محسوب على هذه الشركات.

١٢- التغلب على مشكلة الروتين ومواعيد البحوث :

يعرض البحث وتطبق نتائجه فور الانتهاء منه ، فلا تخضع للروتين الموجود الآن فى الجامعات من ارتباط البحث بزمن لا يعرض إلا بعد انتهاء المدة المحددة له.

١٣- سوف تسهم الشركات ورجال الأعمال وأصحاب المدارس الخاصة فى تمويل بعض البحوث التربوية.

الآثار السلبية المتوقعة للخصخصة :

١- إهمال بحوث التوقعات المستقبلية :

ربما تتم بحوث لتوقعات مستقبلية قصيرة الأجل تخص المؤسسات الخاصة، ولكن قد تهمل بحوث التوقعات المستقبلية بعيدة الأجل لرغبة القطاع الخاص فى الكسب السريع.

٢- قلة البحوث النظرية :

قد تتقلص البحوث النظرية وذلك لأن البحث العلمي التربوي فى ظل الخصخصة سيكون ملبياً لحاجة المؤسسات وسيكون قاصراً عليها.

٣- قصر البحث على الباحثين المشهورين والاتجاه إلى الاحتكار طالما ارتبط البحث بسوق العمل وبمشكلات المؤسسات الخاصة فليس لدى المؤسسات الخاصة قدرة ولا طاقة لتحمل تدريب الباحثين ولكنها ستسعى إلى الباحث البارع المعروف وتتعاقد معه على أبحاثها وستضيع الفرصة على صغار الباحثين غير المشهورين.

٤- الاتجاه إلى البحوث العملية وإهمال بحوث الترف العلمي :

سوف تتجه الأبحاث إلى المجال العلمي الذي يحقق الرضا لأصحاب الشركات الخاصة والدخل للباحث، وسوف تهمل أبحاث الترف العلمى أو يقل البحث فيها.

٥- تراجع مكانة الباحثين فى ظل سيادة رأس المال الخاص وتحكم أصحاب رؤوس الأموال.

سيصبح الباحثون مجرد موظفين لدى المؤسسات الخاصة وسوف يخسرون مكانتهم التى ظلوا يتمتعون بها قبل هذا الاتجاه.

٦- تعدد الانتماءات البحثية وصعوبة تحقيق الاتجاهات القومية للبحث

ستجرى لمن يدفع على حسب اتجاهه وسوف تتقلص الاتجاهات القومية فى البحث وذلك لأن أصحاب المؤسسات قد يكونون هيئات أجنبية.

وهذه الآثار سوف تتحملها الدول النامية دون الدول المتقدمة ذلك لأن الدول النامية تخضع فى توجهاتها للفلسفات الغربية لأن الغرب هو المركز الدافع للعولمة وهو القوة الثقافية والاقتصادية إذ إنه يمتلك الثقافة ولديه القدرة على المنافسة غير أنه من الممكن للدول النامية الاستفادة من الآثار الإيجابية للخصخصة مع محاولة تجنب الآثار السلبية التى تتركها على الأبحاث العلمية التربوية، وذلك بدعم مراكز البحوث وتمويل البحوث الخاصة بالتوقعات المستقبلية بعيدة المدى مع تدريب كوادر جديدة على البحث العلمى التربوى والاهتمام ببعض البحوث النظرية التى تخدم الاتجاهات القومية للدولة مع تدريب الباحثين فى مراكز بحثية خاصة بالدولة تحافظ الدولة على انتماء الباحثين.

رابعاً : اتفاقية الجات :

لقد ارتبطت التجارة بالسياسة بعد الحرب العالمية الثانية، وانقسم العالم إلى معسكرين معسكر شرقي اشتراكي يسير وفق نظريات " كارل ماركس " ومعسكر غربى يسير وفق نظريات " آدم سميث " المفكر الاسكتلندى ، والذى اعتقد فى أهمية تقليص دور الدولة إلى الحد الأدنى فى النشاط الاقتصادي والتجارة الخارجية ولم يستقر هذا النظام حتى انهيار الاتحاد السوفيتي فأدى ذلك إلى توجه العالم نحو نظام عالمى جديد، وأصبحت السيادة للفكر الرأسمالى فكر" آدم سميث ".

وقد اتسم عالم ما بعد الحرب الباردة بظهور التكتلات التى زادت على الستين مثل (الآسيان – النافتا – إيبك – الميركور) إلى غير هذه التكتلات على مستوى العالم.

وينعكس هذا التطور على الأداء الاقتصادي العربي بطبيعة الحال مما يستدعى تنسيقاً وعملاً عربياً اقتصادياً مشتركاً، وأهمية ذلك تعليمياً تبدو فى حجم الإنفاق الضخم الذى ينتظر المنطقة العربية فى مجال التعليم وهو أمر يستحق الدراسة والاهتمام.

مفاوضات اتفاقية الجات :-

مرت اتفاقية الجات بثماني جولات فى الفترة من ١٩٤٧-١٩٩٣ وهى:(١).

١- جولة جنيف ١٩٤٧م وشاركت فيها ٢٣ دولة واقتصر نطاقها على تبادل التنازلات الجمركية.

٢- جولة آنس (فرنسا) ١٩٤٩ وشاركت فيها ١٣ دولة.

٣- جولة توركاى (إنجلترا) ١٩٥١ وشاركت فيها ٣٨ دولة.

٤- جولة جنيف ١٩٥٦ وشاركت فيها ٢٦ دولة.

٥- جولة ديلون (جنيف) ١٩٦٠-١٩٦١ وشاركت فيها ٢٦ دولة.

---

(١) حازم الببلاوى، دور الدولة فى الاقتصاد، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

٦- جولة كنيدى (جنيف) ١٩٦٤-١٩٦٧ وشاركت فيها ٦٢ دولة.

٧- جولة طوكيو (جنيف) ١٩٧٣-١٩٧٩ وشاركت فيها ١٠٢ دولة.

٨- جولة أورجواى ١٩٨٦ : ١٩٩٣.

ولقد أدى هذا الاتجاه – تحرير التجارة الدولية – إلى زيادة التدفقات الرأسمالية بشكل ملحوظ عبر العقد الأخير، وأكسب دور الشركات متعددة الجنسيات بعداً جديداً يرمى إلى استثمار الميزات النسبية لهذه الدول للتوسع فى الإنتاج من داخل أراضيها بغرض التصدير.

مبادئ اتفاقية الجات :-

تقوم اتفاقية الجات على ثلاثة مبادئ رئيسية تسعى كل دولة لتطبيقها وهى:(١).

[١] مبدأ الدولة الأولى بالرعاية *MFN* :

والمقصود بمعاملة الدولة الأولى بالرعاية هو منح كل طرف من الأطراف المتعاقدة نفس المعاملة الممنوحة من مزايا وإعفاءات يتمتع بها أي طرف آخر في سوق الدولة دون قيد أو شرط ودون تمييز ولا يجوز التمييز ضد مصالح أي دولة عضو في الاتفاقية.

[٢] مبدأ الشفافية :

ويقصد بالشفافية في هذا السياق أن تقتصر حماية الصناعة الوطنية من المنافسة الأجنبية على الرسوم الجمركية فقط دون اللجوء إلى الإجراءات غير الجمركية لحظر الاستيراد أو تقييد كمياته من خلال الحصص.

(١) أسامة المجدوب، الجات ومصر والبلدات العربية ، مرجع سابق ، ص ص ٣٨ : ٤٨.

[٣] مبدأ المعاملة الوطنية :

ويعنى التزام كافة الدول الأعضاء بمنح المنتج أو السلعة الأجنبية المستوردة نفس المعاملة الممنوحة للسلع المنتجة محلياً على صعيد التداول والتوزيع والتسعير والضرائب .. إلخ دون تمييز ضد سلعة دولة ضد أخرى.

ويتضح من خلال المبادئ السابقة أنها إجراءات لصالح السلع الأجنبية حيث تستطيع هذه السلع النفاذ إلى الأسواق ولديها من القدرة التقنية والخبرة ما يؤهلها للمنافسة بل واحتكار السوق، أما مبدأ الدولة الأولى بالرعاية فإن هذا المبدأ لا يمنح لأى دولة، فلا تمنحه الولايات المتحدة الأمريكية لدولة كمصر مثلاً ولكنها تمنحه لدولة هي فى حاجة إليها كالصين مثلاً.

ومبدأ الشفافية يرى الباحث أنها قيود تفرض على منتجات الدول النامية لتظل فى مكانها دون تقدم ودون اللحاق بركب الدول الصناعية، ومنح السلع المستوردة نفس المعاملة للسلع الوطنية ولا تستطيع الدول النامية حماية منتجاتها غير القادرة على المنافسة على أرضها وبذلك تتراجع خطا التقدم وتتعرقل محاولات التنمية التى تسعى إليها الدول النامية.

ولقد انضمت مصر إلى هذه الاتفاقية فى عام ١٩٧٠ أى بعد ٢٢ عاماً على سريان الاتفاقية وكغيرها من الدول النامية التى انضمت إلى الاتفاقية تحاول أن توفق أوضاعها مع الاتفاقية الجديدة.

الجات والبحث العلمي التربوي :

يحمل التطور التكنولوجي والاتصالي بأنماطه الراهنة خطر التبعية الثقافية ويهدد باضمحلال الهوية الثقافية العربية.

وأصبحت اتفاقية الجات إحدى وسائل الهيمنة والسيطرة فقد فرضت الحماية على الملكية الفكرية رغبة فى مزيد من الهيمنة الثقافية على العالم فلم تلجأ إلى حماية الملكية الفكرية إلا حماية لثقافتها وضماناً للهيمنة . فقد وافقت الولايات المتحدة الأمريكية على قانون حماية الملكية الفكرية "فى عام ١٩٨٩ حين هددت مصالحها الثقافية"(١).

وقد تضمنت اتفاقية الجات الاتفاقية الفكرية والاقتصادية ويقصد بحقوق الملكية الفكرية مجموعة الضوابط التى تنظم حقوق المؤلف وقد عقدت اتفاقية حول الملكية الفكرية سنة ١٨٨٦ وتضم ١٠٥ دولة، ثم أنشئت المنظمة العالمية للملكية الفكرية wipo فى عام ١٩٦٧، ثم تدخل حيز النفاذ سنة ١٩٧٠، ثم يتحول إلى إحدى الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٤م، وهى المنظمة التى تضم فى عضويتها ١٤٧ دولة عضواً وتشرف على ٢٣ اتفاقية دولية تتناول حقوق الملكية الفكرية بمختلف جوانبها وإجراءاتها(٢).

ويتضح من ذلك محاولة الدول العظمى الهيمنة الثقافية والفكرية من خلال حماية الملكية الفكرية، حيث تستطيع بالتقنية المعرفية المتطورة أن تفرض ثقافتها على الدول النامية وفى هذا السبيل تسعى الدول المتقدمة لرفع مدة الحماية الفكرية لتصل إلى ٥٠ عاماً لحقوق الطبع و ١٠ أعوام لحقوق نقل الدوائر الإلكترونية وبرامج الكمبيوتر وهو ما يضع قيوداً على التكنولوجيا المتطورة.

" وحيث صار مستحيلاً مواجهة هذا التحدي بأساليب المراقبة والمنع أو بجهود قطرية تتوقف كلها عند مستويات محدودة من النجاح والانتشار على نحو ما يجرى اليوم

(١) مصطفى عبد الغنى، الجات والتبعية الثقافية، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م) ص١٧.
(٢) أسامة المجدوب، الجات ومصر والبلدات العربية ، مرجع سابق، ص ١٣٤ – ١٤٤.

فى الوطن العربي، ويحدث ذلك فى الوقت الذى يشكل الوطن العربى فيه سوقاً تقانية طبيعية واحدة كفيلة يحفز الطاقات الإبداعية الثقافية وازدهارها حتى تزود المواطن العربى بما تتطلبه بيئته وطموحاته الثقافية والوطنية من أنشطة وبرامج ثقافية تحافظ على هويتها"(١).

ولقد وقعت مصر على اتفاقية "رن" التى تحافظ على الملكية الفكرية ووافق عليها مجلس الشعب (عام ١٩٧٦) وبدأت مصر بالفعل فى توفيق الأوضاع والقوانين الفكرية لتتوافق مع حقوق الملكية الفكرية " فلقد تم بالفعل تعديل قانون حق المؤلف رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ بالقانون رقم ٣١ لسنة ١٩٩٢م ليشمل أيضاً حماية برامج الكمبيوتر كمصنف فني وأدبى، وأصبح القانون بعد التعديل متوافقاً مع أحكام اتفاق الأوجه التجارية لحقوق الملكية الفكرية، أما على صعيد براءات الاختراع، فيجرى حالياً بالفعل النظر في تعديل قانون براءات الاختراع رقم ١٣٢ لسنة ١٩٤٩م ليتماشى مع التقدم الهائل الذي تحقق منذ صدور هذا القانون منذ قرابة نصف قرن بما يحقق الحماية الفعالة سواء لبراءات الاختراع الأجنبية أو المصرية على حد سواء وتشجيع جهود البحث العلمي والتطوير والإبداع"(٢).

وبذلك تدخل مصر فى مصاف الدول المتأثرة باتفاقية الملكية الفكرية وتجرى عليها سبل الهيمنة الغربية ونشر ثقافة العرب الذى تمتلك التقنية المعرفية ووسائل نشر الثقافة المتمثلة فى القنوات الفضائية وشبكات الإنترنت.

---

(١) عبد السلام نوير، العمل العربى المشترك فى مجال التعليم، مجلة معلومات دولية السنة السابعة، (العدد ٦٠) (سورية : مركز المعلومات القومي ، ربيع ١٩٩٩م) ، ص ١٠٤.

(٢) أسامة المجدوب، الجات ومصر والبلدات العربية ، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

فتفجر المادة الخام لتكنولوجيا المعلومات والاتصال مع نقص المعلومات لدينا يحدث تشوهاً لدى المثقف، وبخاصة أن هذه المعلومات تكيف حسب ما يراداها وتوجه بالصور التى يريدها مالكها.

حيث تسعى الدول المالكة للمعرفة إلى استغلالها لتحقيق المزيد من التبعية لها ومع المحاولات الجادة الرامية إلى تدويل البحوث العلمية والتربوية تزداد تبعية الشرق للغرب وتدعم النظريات الغربية وقد يؤدى ذلك إلى عرقلة تقدم البحوث التربوية فى الوطن العربى ومصر ربما أدى إلى جمود الفكر التربوي العربي ويترَجع الأمل فى إيجاد نظرية تربوية عربية.

وإن كان البحث التربوي يخضع اليوم فى أغلب البحوث للمنهجية الغربية إلا أنه فى ظل اتفاقية الجات وحقوق الملكية الفكرية سوف يزداد البحث تبعية للمنهجية الغربية مع فقد الثقة في أي منهجية عربية.

وكما دخلت الصناعة فى مجال الحصول على شهادات عالمية للجودة مثل الأيزو فإن الأبحاث التربوية ستسير فى نفس الفلك فتخضع لقواعد عالمية وتسعى المراكز البحثية للحصول على شهادات عالمية للاعترَف بالبحوث التى تجرى فيها وقد ترفض البحوث التى تجرى فى غير هذه المراكز البحثية المعتمدة عالمياً وقد يفرض على المراكز البحثية بعض الباحثين الأجانب كمستشارين يشاركون فى البحوث التربوية التى تعلق عليها الآمال فى تطوير التعليم مما يؤدى إلى توجيه البحوث إلى وجهة تخدم الأهداف الغربية وتوجه التعليم الوجهة التى تضمن لهذه الدول مزيداً من التبعية وترويجاً لثقافتها وبذلك يدخل البحث التربوى فى مجال المنافسة العالمية والتجارة حيث تمتلك الشركات متعددة

الجنسيات مصادر المعرفة والتى تستخدم فى البحوث التربوية وتتمكن من استغلال البحوث واستثمارها كسلعة تربح من خلالها.

ولكن باستطاعة مصر الاستفادة من حقوق الملكية الفكرية على مؤلفاتها وتنشيط المراكز البحثية لتحقيق التقدم العلمي المرجو وتهيئة هذه المراكز للمنافسة الفعالة والقوية مع المراكز العالمية، ومحاولة تحقيق مستوى أفضل للثقافة العربية والمصرية وتكوين قوة دفع للثقافة لإشعار المثقف بالثقة فى ثقافته والاغتناء بها عن غيرها مع الاستفادة من النظريات العالمية والفكر العالمى دون أن تذوب شخصية الباحث المصرى والعربى مما يدفعه إلى الاعتداد برأيه وبذلك تتبلور النظريات التربوية العربية فى ظل هذه التحديات العالمية.

خامساً : القنوات الفضائية وثورة المعلومات :

لوسائل الاتصال تأثير كبير على الرأى العام وعلى العلاقات بين الأمم ولاستخدام تقنيات الإعلام الجديدة آثار بعيدة المدى على العلاقات الدولية تمثل ذلك تقنيات الاتصال عبر القنوات الفضائية حيث يشهد العالم تنافساً شرساً من جانب الدول المتقدمة فى مجال غزو الفضاء.

ويعتبر الإعلام من أحدث وسائل الغزو الفكري والثقافي من خلال أجهزته، ولقد كان من ثمرة التقدم التكنولوجي والعلمي حضارة جديدة قوامها ثورة المعلومات والاتصال الجماهيري.

وقد أدى ظهور هذه الحضارة إلى زيادة التباين بين دول العالم الصناعي المتقدم بإمكانياته والدول النامية بإمكانياتها المحدودة وقدراتها المحدودة على الابتكار والتصنيع وقد زادت هذه الثورة من متطلبات الفرد وضاعفت من حدة الصراع الطبقي وأثارت العديد من التساؤلات حول كيفية إيجاد نظام متوازن للإعلام والثقافة بين دول غنية

تمتلك التكنولوجيا، والعلم ودول أخرى لا تتوفر لديها المقومات اللازمة للإنتاج الصناعي والتكنولوجي لعدم قدرتها على تنويع المضمون الإعلامي الثقافي بسبب قدرتها المحدود فيزداد تبعاً لذلك طلبها على المواد الثقافية والترفيهية والإعلامية الأجنبية وغالباً ما تختلف هذه البرامج مع وجهات نظرها التنموية والثقافية والفكرية.

" ولقد أصبحت حرية الإعلام والاتصال علامة من العلامات المميزة لثورة الديمقراطية .. فقد أصبحت واحدة من أكثر قوى صياغة المجتمع والتأثير فى صناعة القرار وتهيئة الرأى العام عند صياغة السياسات خاصة إذا تعلق الأمر بالصحافة الإلكترونية وفى مقدمتها التليفزيون صاحب القوة فى التأثير المباشر عبر الصورة الحية والإبهار والحركة السريعة المزيدة دائماً بخدمات الأقمار الصناعية الجوالة فى الأفلاك بحرية واسعة وتعددية كثيرة تعد بالمئات اليوم"(١).

ونظراً لهذه الثورة والتقنيات الحديثة التى مكنت الإعلام من السيطرة والقدرة على التغيير أصبح الإعلام العالمي قوة رهيبة بسبب شبكة الاتصالات الحديثة، والأقمار الصناعية، وأصبحت الدول الكبرى تتصارع للسيطرة على الرأي العام العالمي.

ولقد بدأت اليوم الشكوى " من السيطرة الاتصالية للدول المتقدمة "تكنولوجيا" والتي تحاول استغلال نفوذها لتحقيق مصالحها الخاصة وفرض "أيدلوجياتها" وثقافتها مما يعرض الدول الأخرى الأقل تقدماً لخطر جسيم يتمثل فى فقدانها لهويتها القومية ويشكل نوعاً من التبعية الثقافية إلى جانب ذلك فإن الدول النامية تشكو من تحريف وتشويه ثقافاتها عن طريق وسائل الإعلام فى الدول المتقدمة(٢).

---

(١) صلاح الدين حافظ، " الانحياز الإعلامى وحوار الثقافات "، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية) العدد ٦٥ أكتوبر/ديسمبر ١٩٩١م، ص ٧.

(٢) غازى زين عوض، الإعلام والمجتمع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م) ص ٩٩.

ولذلك تسعى الدول النامية جاهدة لمواجهة هذا الغزو الثقافي وتصحيح التحريف المتعمد أحياناً من جهة الإعلام الغربي.

نشأة الأقمار الصناعية ومزاياها :

تعتبر الأقمار الصناعية الموجة الثالثة التى تجتاح العالم محدثة التغيير الجذري فى شتى مناحي الحياة، ولقد مر العالم بأربع ثورات، " الأولى ثورة الأرض، حين استطاع الإنسان أن يفلح الأرض لتؤتى ثمارها، والثانية الثورة الصناعية، حين روض الإنسان الطبيعة واستعمال البخار ونمى المجتمع الصناعي الحديث، والثورة الثالثة هي ثورة التكنولوجيا وما قدمته للإنسان من اختراعات سهلت حياته، وملأتها، وأخيراً ثورة الإعلام.. وهى الثورة التي نعيش فيها الآن، وصار الإعلام جزءاً من حياتنا اليومية"(١).

وقد اتجه العالم المتقدم للتنافس فى مجال غزو الفضاء بعد الحرب العالمية فسعت أمريكا والاتحاد السوفيتي إلى التنافس فى مجال الفضاء وإعداد الترسانات الحربية أما فى أوربا فقد " كانت المساعي تبذل من أجل المشاريع العلمية المتعلقة بالأقمار الصناعية وبالشئون الفضائية عامة. وقد أنشئت لهذا الغرض الجمعية البريطانية للرحلات بين الكواكب سنة ١٩٣٣م وهى الجمعية التى انعقد تحت لوائها المؤتمر الدولي الثاني للملاحة الفضائية فى لندن سنة ١٩٩١م، أما المؤتمر الأول فقد انعقد سنة ١٩٥٠م فى باريس وكان موضوع المؤتمر "القمر الصناعي" حيث قدمت خلال هذا المؤتمر تصاميم ومواصفات لأقمار توضع فى الفضاء ويمكن رصدها بواسطة المناظير والرادارات"(٢)، واستمر التنافس بين الدول لإحراز قصب السبق فى مجال الفضاء، فقد أطلق الروس أول قمر صناعى

(١) فتحى الإبيارى، نحو إعلام دولى جديد، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨م) ص ٤٥.
(٢) الطيب الجويلى،البث الإعلامى عن طريق الأقمار الصناعية والإعلام العربى،(لبنان:دار المسير،١٩٩١م)ص١٤.

"سبوتنك" فى الرابع من أكتوبر ١٩٥٧(١)، ثم توالت البحوث لاستغلال هذه الأقمار لخدمة البشرية فى شتى النواحى وتحقيق السيطرة للدول المالكة له والتى تنشر من خلاله فكرها.

وقد ازدادت القنوات الفضائية بشكل يهدد بحدوث مشكلات قد يتعلق بعضها بما ينجم عن البث من تشويش وبعضها باستغلال الفضاء وبعضها يتعلق بمجال البث وتحسباً لظهور مشكلات تعرقل ذلك التقدم الهائل " عملت منظمة الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٥ على إقرار وثيقة يسير العمل بمقتضاها، وقد خصصت لجنة خاصة للاستعمالات السلمية للفضاء الخارجي سنة ١٩٥٣م وهذه اللجنة تعرف منذ ١٩٦٠م باللجنة الفرعية القانونية"(٢).

فقد كان إقرار وثيقة – يسير العمل بمقتضاها فى الفضاء – وتخصيص لجنة لاستعمالات الفضاء الاستعمال السلمي أكبر دليل على الثورة التى أحدثتها برامج الفضاء بين الدول المتقدمة. هذا بالإضافة إلى دور هذه القنوات فى نشر الثقافة وتعبئة الرأي العام وخطورتها فى التجسس واستعمالاتها الحربية.

الغزو الثقافي والغزو الاجتماعي :

ثمة ارتباط بين المضمون الفكري والتوازن الاجتماعي، ويحدث الخلل حينما يحدث الغزو الثقافي، وهذا ما تتسم به الموجة الثالثة من محاولة اجتياح الثقافات المحلية وإحلال ثقافات غريبة عن المجتمعات المحلية، وذلك بما أحدثته من تغييرات جذرية في حياة البشر وذلك بفضل قدرتها على مخاطبة البشر فى شتى أرجاء المعمورة.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧.
(٢) الطيب الجويلى، مرجع سابق، ص ٢٨.

وإن كانت الموجة الثالثة فى استطاعتها أن تشارك فى تقارب الثقافات وتحقيق الوحدة الثقافية للكرة الأرضية إلا أنها أحدثت خللاً ثقافياً وقد أثر الإعلام العالمي على ثقافة الأمم المستهدفة ويبدو ذلك من خلال الآثار الآتية :

[١] تغريب ثقافات الأمم :

فى ظل هيمنة الحضارة الغربية بثوبها الأمريكي يصبح "تغريب" ثقافات الأمم الأخرى أداة من الأدوات التى تمهد الطريق لتلك الهيمنة، ثم تكرسها فى الواقع المعاش ويستهدف هذا التغريب – فى أساسه – اختراق الهويات الثقافية للأمم التي يطالها عدوان ثقافة التغريب والهوية الثقافية لأي أمة.

[٢] محاولة صياغة ثقافة بديلة :

ينتج عن عدوان ثقافة التغريب على هذه القيم والمعايير والخصائص ومحاولتها صياغة خصائص ثقافة بديلة، مؤسسة على القيم الغربية وفرضها على المجتمعات المختلفة بوصفها خصائص ثقافة "عالمية" أو "إنسانية" ينتج عن ذلك اغتراب الناس عن مجتمعاتهم.

[٣] هيمنة الثقافة الغربية بقيمها الفكرية وأنماط سلوكها الاجتماعي وطرائق عيشها المادي، وسعى أرباب هذه الثقافة – بما يمتلكون من أسباب القوة ووسائل التأثير إلى تكريس ثقافة التغريب بوصفها الثقافة الإنسانية العالمية فى حياة الأمم والشعوب الأخرى(١).

ويتمتع فى عصرنا من ينقل المعلومات بالتفوق التكنولوجي ويكاد يعصف بالهويات الثقافية العالمية للدول الأقل تقدماً وبخاصة الدول النامية، حيث إن الإعلام إذا

(١) عبد القادر طاش، الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٥م) ص ص ١٢،١٣.

كان قومياً استطاع أن يحقق التوازن الاجتماعي أما ما يحدث من بث فضائي عبر القنوات الفضائية فلا يعمل على تحقيق التوازن الاجتماعي بل يجذب المشاهدين ويضعف الانتماءات القومية لديهم.

سمات البث الوافد :

لقد استطاعت الدول الغنية أن تبسط سلطانها بفضل قدرتها الإعلامية العالية وامتلاكها المعرفة.

ويتسم البث التليفزيوني الأجنبي الوافد بما يلى : (١).

١- يمثل البث الفضائي ظاهرة موضوعية تعكس الخلل العام فى موازين القوى على الصعيد الكوني فى المجالات كافة، ويجسد هذا الخلل الثقافي الاتصالي.

٢- يأتي هذا البث بالرغم من تنوع واختلاف مصادره ضمن السياق العام للتبعية الثقافية، والهيمنة الإعلامية التى يفرضها الشمال على الجنوب.

٣- كما يأتى ضمن السياق العام للعولمة الهادفة إلى التسليع والتنميط.

٤- يمثل البث الفضائي المباشر عبر الأقمار الصناعية اندفاعة تكنولوجية غير مسبوقة، أتاحت تأمين ظروف تعرض نموذجية (تنوع، جاذبية، وفرة، رخص، استمرارية).

٥- يتميز البث الفضائي بتعدد مصادره وتمثل المحطات الفضائية الأمريكية الحلقة الأقوى فى هذه السلسلة تليها الأوربية الغربية ثم المحطات الإقليمية.

---

(١) أديب خضور، مساهمة القنوات الفضائية العربية فى صد الغزو الثقافي،(تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٨م) ، ص ص ٢٣٢، ٢٣٣.

٦- لا تعمل المحطات الفضائية الأجنبية فى فراغ، ولا تمارس بثها هواية أو تسلية بل هى معنية بمشاريعها التى تعكس وتجيد أساساً سياسة وأيديولوجية مالكيها وموجهيها من دول أو مجموعات مالية أو مؤسسات صناعية.

٧- تتباين قوى هذه المحطات وتختلف وفقاً لموازين علاقات القوى بين الدول التى تنتمي إليها.

٨- تمتلك هذه المحطات كادراً ضخماً قادراً على تقديم مادة مختلفة نوعاً وكماً، قادرة على أن تستفيد من مصادر القوى الذاتية.

ومن ذلك تتضح خطورة البث المباشر على الدول الأقل تقدماً حيث تجد هذه الدول نفسها أمام تحد واضح لقدراتها ولا تستطيع مقاومته وتصبح مسئولية هذه الدول صعبة فى الحفاظ على هويتها أمام هذه السيطرة والهيمنة الغربية والأمريكية تلك الهيمنة المدروسة ولذلك يعكس البث المباشر اختلالاً واضحاً وصارخاً بين الشمال المتقدم والمتمثل فى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوربي والجنوب المتمثل فى الدول العربية والدول النامية.

ولقد نشأ هذا الاختلال عن التفاوت بين حجم الأنباء والمعلومات الصادرة عن العالم المتقدم، والموجهة إلى البلاد النامية مما دعا الدول النامية إلى المطالبة فى " كثير من المؤتمرات الدولية بكسر احتكار العلم ونشر المعلومات العلمية والفنية وطرق الإنتاج الحديثة بين هذه الدول من أجل التنمية السريعة للإنتاج فيها والسبب فى المطالبة بكسر الاحتكار العلمي والتكنولوجي يرجع إلى أن تكاليف الحصول على المعلومات العلمية الفنية وكذلك تكاليف الحصول على المنتجات الصناعية فى تزايد مستمر فإذا لم يتح للدول النامية الحصول على المعلومات العلمية والفنية والمنتجات التكنولوجية الحديثة .. أى أن

يعتمد على العلم المتقدم بتكاليف يستطيعها فإن الهوة التى تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية ستزيد اتساعاً"(١).

وهذا الوضع يعكس مدى الصراع غير المتكافئ بين الدول المتقدمة والدول النامية التى تمثل الأغلبية فى العدد والأقلية فى نوال الرفاهية والحقوق ورغم كثرة النداءات الداعية إلى التعاون والتضامن بين الشعوب إلا أن "هذه النداءات تصطدم دائماً بقوى الجذب إلى الوراء وتتعثر القيم النبيلة التى تدعو إليها بأصوات لها تأثيرها فى إذكاء روح مفهوم الصراع ليتحول إلى صدام"(٢).

مؤشرات السيطرة الغربية للإعلام :

لقد مكنت التكنولوجيا المتطورة مالكيها من القدرة على الهيمنة والسيطرة على الإعلام ومحاولة نشر ثقافة الأقوى وفكرة ورؤيته من خلال القنوات الفضائية وثمة مؤشرات تثبت السيطرة الغربية للإعلام ومن هذه المؤشرات.

١- خمس وكالات أنباء والخمسة الكبار، وهى الأسوشيتدبرس، اليوناتيدبرس انترناشونال رويتر، وكالة الصحافة الفرنسية وتاس، تنشر ما يقارب من ٩٠٪ من معلومات العالم.

٢- أن الصحف والمطبوعات الكبيرة التى لها مغزى دولي كبير ومؤثر تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا.

٣- إن برامج الراديو الموجهة للدول الأجنبية تبث معظمها من محطات الدول الصناعية مثال ذلك (صوت أمريكا).

---

(١) أحمد بدر، الإعلام الدولى دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية، ط٤ (القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م) ص٧٣.
(٢) محمد عبد الكافى، " القنوات الفضائية العربية وإمكانية الاستفادة منها " المجلة العربية للثقافة،(العدد٣٣)، (تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ، ١٩٩٧م) ، ص ١٧٨.

٤- أن أخبار التليفزيون وأشرطته تعتمد بشكل رئيسى على المواد الأولية المنتجة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا(١).

مثل هذه المؤشرات تؤكد خطورة القنوات الفضائية والبث المباشر وتؤكد أيضاً خطورة دور الإعلام العربي فى مواجهة مثل هذا التدفق الإعلامي الهادف الذي يرمى إلى السيطرة وتعميق التبعية، ولذلك يجب أن يواجه لا بالرفض لهذه التقنية العالية من البث المباشر بل بالاستفادة منه ومحاولة إثبات و تأكيد الهوية العربية ومقابلة الفكر بالفكر ورفع كفاءة الإعلام العربي وتوسيع رقعة البث العربي لتنافس البث الإعلامي الغربي.

الدول النامية والقنوات الفضائية :

أمام الهجمة الشرسة على الدول النامية من الدول المتقدمة وعرقلة كل المحاولات الساعية إلى تنمية هذه الدول فقد طالبت الدول النامية منظمة اليونسكو بأن تساعدها فيما تبذله من جهود لإصلاح الخلل فى التدفق المعرفي من الشمال إلى الجنوب.

وتختلف الرؤى بين الشمال والجنوب للإعلام حيث ترى الدول المتقدمة أن الإعلام وسيلة لنقل الأخبار فلا داعى لأن تملكه وتسيطر عليه الدولة أما الدول النامية فتنظر إلى الإعلام على أنه وسيلة للتنمية ولذا يجب أن تسيطر وتشرف عليه الدولة بصفتها مسئولة عن التنمية فى هذه المجتمعات.

"ولقد أسفر دخول التليفزيون والأقمار الصناعية مجال الاتصال عن زيادة مخاوف دول العالم الثالث بإضافة أبعاد جديدة للمشكلة تمتد جذورها إلى قرب البث المباشر الذى سيواجه المجتمعات النامية، لقد أخذت الشركات العملاقة والمسيطرة على معظم الأقمار الصناعية للبث المباشر بإعداد العدة لمخططات ومجموعة أهداف ترمى من

(١) فتحى الإبيارى، مرجع سابق، ص ١١١.

ورائها إلى تحقيق مكاسبها المادية عن طريق الإعلان التجارى وسيكون لشركات التليفزيون التجارى الأمريكى والشركات الصانعة المنتجة للسلع الضرورية نصيب الأسد فى تسويق منتجاتها لسوق الدول النامية"(١).

ويرجع ذلك الخوف إلى إحساس الدول النامية بالعجز أمام هذا التقدم الهائل الذى يمكن الدول المتقدمة من فرض ثقافتها على الدول النامية مما يهدد الهوية للدول النامية.

هذا بالإضافة إلى أن الدول النامية تعانى اليوم من "جميع عوائق التنظيم الحالى لشبكة المواصلات السلكية واللاسلكية الراهنة التى تتسم بالقصور وارتفاع التكاليف فى آن واحد وقد تمكنت الدول المتقدمة بفضل سبقها التكنولوجى ونظام رسوم المواصلات الدولية الذى أرسته من أن تستفيد من أوضاع وامتيازات احتكارية سواء عند تحديد فئات نقل المطبوعات والمواصلات السلكية واللاسلكية أو فى استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات"(٢).

فالتكلفة المالية العالية تمثل عائقاً ومشكلة أمام الدول النامية فالإعلام يمثل غزواً ثقافياً للدول النامية عن طريق الأقمار الصناعية وهو وليد ظاهرة حضارية فرضت على العالم الثالث تكنولوجيا إعلامية لم تستخدمها إلى الآن على نطاق واسع.

الثقافة العربية والهوية الحضارية :-

لقد عانت الدول العربية من الاستعمار لفترات زمنية متباينة من دول لأخرى ونتيجة للاستعمار ووجود اللغات الغربية فى الثقافة العربية وفرض هيمنتها وثقافتها وتعليم اللغات الأجنبية والتحدث بها فقد نشأ فى الأوساط المتعلمة ما يسمى بازدواجية

(١) غازى زين الدين عوض، مرجع سابق، ص ١٠٠.
(٢) فتحى الإبيارى، مرجع سابق، ص ٦٤.

اللغة فهذا يجيد لغتين فهو " بيلا نفى" أو "بيلا نفيست" وذلك يجيد ثلاث لغات فهو تريلا نفى " أو تريلا نفيست" وهذا "أوبيز'ن" والآخر "فرانسيز'ن" وقد ساعدت وسائل الإعلام الغربية من إذاعة وسينما ومسرح وتليفزيون وصحف وكتب على نمو الازدواجية الثقافية الأمر الذى ساهم فى تدعيم الحضور الثقافي الغربي فى الوطن العربي والبلدان النامية بصفة عامة"(١).

وهذا ما دفع الجمهور العربى إلى متابعة وتقبل الثقافة الغربية وربما تفضيلها على الثقافة الوطنية والثقة فى كل ما هو غربي.

وقد " أثبتت الأبحاث الجماهيرية واستطلاعات الرأي لدى جمهور التليفزيون العربى أن هذه البرامج التليفزيونية الثقافية لا تحظى عادة باهتمام عموم المشاهدين والأخطر من هذا العزوف عن هذه البرامج الإقبال الملحوظ لدى الشباب بالخصوص على البرامج الثقافية والعلمية الغربية فى ظروف أصبح فيها البث المباشر للبرامج التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية يهدد أكثر من أى وقت آخر الثقافة العربية والهوية الحضارية للمشاهد العربي ويدل هذا الإقبال على المادة الثقافية الأجنبية على تعطش الجمهور الشاب للمعرفة وهو لا يعرض عن المادة الثقافية الوطنية إلا بسبب مستواها الرديء الخالي من الإبداع وقد تعمق هذه الظاهرة انبتات الشباب العربي عن محيطه الثقافي وعن جذوره الحضارية العربية الإسلامية"(٢).

وبذلك تمثل القنوات الفضائية والبث المباشر عن هذه القنوات الثقافية الأجنبية تمثل غزواً ثقافياً يهدد الهوية العربية وهو بحاجة إلى وقفة جادة لصد هذا الخطر المدمر

---

(١) الطيب الجويلى، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) محمد أحمد القابس، " تصور أولى لمشروع إنشاء قناة تليفزيونية ثقافية تربوية عربية "، المجلة العربية للثقافة العدد ٣٣، (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م) ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

لمستقبل الأمة العربية وهى أمة مستهدفة للقضاء على حضارتها القديمة ومنع وعرقلة كل محاولة للتنمية ويتطلب الأمر تكاملاً بين القنوات الفضائية العربية.

" وإذا كان التكامل على المستوى الوطني ضرورة تحتمها طبيعة العمل الإعلامي فى علاقته بالأجهزة المسئولة عن التنمية الاجتماعية والاقتصادية فإن التكامل بين أجهزة الإعلام والثقافة والتعليم لابد أن يحظى بالأولوية فى هذا المجال ، وهو ما أشار إليه بحق الوزراء المسئولون عن الثقافة فى البلاد العربية فى مؤتمرهم الأول فى عمان فى ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٢م، وأعلن المؤتمر فى بيانه الختامي ضرورة تحقيق التكامل والتناسق بين عمل أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم وأجهزة الإعلام فى الأقطار العربية لضمان مزيد من فعالية العمل الثقافي وتوسيع نطاق الخدمات الثقافية للمواطنين إسهاماً فى تكوين المواطن العربي تكويناً سليماً معاصراً"(١).

فإذا استطاعت الدول العربية أن تأخذ بمبدأ التكامل فى مجال الإعلام والتعليم والثقافة ستصل إلى مستوى لائق يحد من آثار القنوات الفضائية الأجنبية ويحقق لها مزيداً من التوسع ومن الانتشار بين مساحة من الجمهور.

القنوات الفضائية العربية :

أمام الانفجار الاتصالى والتسابق فى مجال الفضاء لم يكن للعرب أن يظلوا صامتين دون أن يشاركوا بنصيب دفاعاً عن قيمهم وعاداتهم وهويتهم.

ولذلك بدأ العرب فى إنشاء الأقمار الصناعية العربية، فربطت الدول العربية شبكة فضائية عربية عن طريق القمر الصناعي "عربسات" الذي أنشأته وزارات المواصلات العربية، ولكل دولة عربية محطة أرضية أو أكثر وربما تحقق ذلك متأخرة نتيجة لما لاقته

(١) سجاد الغازى، القنوات الفضائية العربية تنافس أم تكامل، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٣، (تونس: العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٧م، ص ١٦٢.

فكرة إطلاق قمر صناعي عربي من اعتراضات وبخاصة من اللوبي اليهودي فى أمريكا وعرقلت الفكرة حتى عام ١٩٨٥م فقد شهد عقد الستينات والسبعينات طفرة فكرية فى العالم العربي ومن خلال "جامعة الدول العربية" تشكلت " المنظمة العربية للاتصالات الفضائية " فى عام ١٩٧٦م، وتحقق فى فبراير ويونيو عام ١٩٨٥م إطلاق القمرين العربيين الأول والثاني (عربسات١ أ،ب) للربط بين دول العالم العربي، الذي تمتد رقعته من الخليج العربي شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى عمق أفريقياً جنوباً"(١).

ومن هذا التاريخ بدأت القنوات الفضائية العربية تزداد فى مصر وفى غيرها، وقد كانت مصر أول دولة عربية بدأت بإطلاق أول قناة تليفزيونية فضائية باستخدام الحزمة "إس" غزيرة الإشعاع على أقمار عربسات فى " ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٠م ثم توالى إطلاق القنوات الفضائية العربية الأخرى حتى أصبح دولة عربية قناة فضائية أوأكثر"(٢).

الأمر الذي يشجع على زيادة الإسهامات العربية فى مجال استخدام القنوات الفضائية لمواجهة البث الغربي وزيادة القدرة العربية فى الدفاع عن الثقافة العربية وحمايتها من التشويه المتعمد وغير المتعمد من الغرب ومن إسرائيل التى تسعى دائماً لعرقلة كل جهد عربي يسعى لرقى الأمة ونهضتها وقد يسهم ذلك فى توحيد الثقافة العربية والعمل على وحدة الأمة والتقريب فيما بينهما .

(١) سعد شعبان، القمر الصناعى المصرى " نايل سات " (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ص٧٠.

(٢) سعد لبيب، " نحو إقامة قناة تليفزيونية ثقافية عربية موحدة "، المجلة العربية للثقافة، (العدد ٣٣) ،(تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٧م) ، ص ١٣٠.

غير أن الرؤاسب الثقافية التى خلقها الاستعمار فى الدول العربية جعلتها موالية له تابعة له رغم المحاولات الكثيرة للقضاء على هذه التبعية إلا أن الكثير من الضغوط الخارجية تدفع بالعالم العربى إلى التبعية، وقد أثر ذلك على الإعلام العربي.

هذا بالإضافة إلى التناقضات الثقافية العربية التى نجمت هي الأخرى عن الاستعمار وارتبطت هذه التناقضات بالمصالح الغربية، ولذا جاء البث الفضائي العربي متأثراً بالفكر الغربي داعياً إليه.

وفى ظل التحديات التي تصادفها الثقافة العربية توجد عدة عوامل مهددة لتوحيد الأنماط الثقافية منها : (١).

١- عدم القدرة على الاستغناء عن المسلسلات والبرامج الثقافية والتربوية الغربية وذلك لملء الفراغ فى الشبكة وارتباط الحكومات المحلية بلغة ثقافية معينة بحكم الازدواجية اللغوية.

٢- عدم قدرة التلفزات العربية على إرضاء ذوق المواطن العربي وإشباع رغباته التليفزيونية فى جميع مجالات المعرفة.

٣- تلهف المواطن العربي إلى المزيد من الأنباء العالمية فى النشرة الإخبارية التليفزيونية مما دفع العديد من المؤسسات التليفزيونية العربية إلى إثراء هذا الجانب وإعطائه الأولوية القصوى فى بثه اليومي.

ونتيجة لهذه العوامل المهددة لتوحيد الأنماط الثقافية العربية فقد اتسم استقبال البث الفضائي فى الوطن العربي بالظواهر التالية : (٢).

---

(١) الطيب الجويلى، مرجع سابق، ص ص ٦٧ : ٧٠.
(٢) سجاد الغازى، مرجع سابق، ص ص ١٥٤ ، ١٥٥.

١- التباين الواضح فى مواقف الدول العربية من قضية استقبال البث الفضائي المرئي.

٢- انعدام التنسيق بين الدول العربية فى الموضوع.

٣- الزيادة الرهيبة فى عدد الأطباق المستعملة.

٤- لجوء عدد من الأقطار العربية إلى استخدام نظام الكبل التليفزيوني.

٥- لجوء بعض الدول العربية إلى إعادة بث مجان لقنوات عربية وعالمية مختارة.

٦- التوسع فى إنشاء القنوات الفضائية وزيادة ساعات البث أدى إلى زيادة الاعتماد على هذه القنوات على الإنتاج الفني المستورد من خارج الوطن العربي.

٧- لجوء بعض القنوات الفضائية العربية إلى استعمال الحروف الأجنبية بدلاً من الحروف العربية للدلالة على هويتها.

٨- سعى بعض الدول العربية إلى استعمال تقنيات البث الفضائي فى دعم حركة الإعلام الخارجي العربي وذلك من خلال إنشاء قنوات فضائية عربية ناطقة باللغات الأجنبية.

فالقصور والعجز فى ملء الفراغ فى القنوات العربية هو أقوى الدوافع لاستيراد البرامج الأجنبية وبذلك يعد ظاهرة إعلامية الاعتماد على البرامج الأجنبية ونقلها للجمهور العربي ويلاحظ أن معظم القنوات الفضائية العربية – باستثناء المصرية تستورد قسماً كبيراً من مواد برامجها "لأنها غير قادرة على إنتاج كامل حاجتها، سواء من إنتاجها هى أم نتيجة التبادل مع إنتاج الآخرين، وهى بالتالي تستورد برامج مفروض عليها أن تقررها، وليس لها اختيار فى إقرارها فقد لا تتوافق مع أولوياتها"(١).

(١) حسين العودات، كيف يمكن أن نجعل القنوات الفضائية العربية أداة للتعريف بالثقافة العربية الإسلامية، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٣، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٧م.

وبذلك تستطيع المواد الإعلامية المستوردة توجيه البرامج الإعلامية العربية.

القنوات الفضائية فى مجال التعليم والبحث التربوي :

لقد أصبح تدفق المعلومات وانسيابها والحصول عليها ممكناً من قبل الناس جميعاً، وأصبح فى استطاعة أى فرد جمع المعلومات ومقارنها وتشكيلها، وليس هناك مانع يحول بينه وبين الحصول على المعلومات وأصبحت الدولة لا تستطيع أن تمنع الأفراد من ذلك ومن ثم فإذا حدثت تغييرات كبيرة فى عصرنا نتيجة تفجر الاتصال فخلق علماً جديداً كان له أثره الواضح فى شتى المجالات.

" وقد كان من نتيجة انفتاح السوق واتجاهه للحصول على البرامج التى تسد حاجته بصرف النظر عن قيمتها الثقافية، إن اتجهت مراكز الإنتاج بدورها إلى تقديم نوعية البرامج التى ترضى السوق وأصبحت البرامج سلعة تعامل بمنطق السوق فتقاس جودتها بحجم جمهورها ومدى الإقبال عليها بصرف النظر عن أى اعتبار آخر يتعلق بالمعايير الثقافية أو الأخلاقية"(١).

وقد أصبح التعليم مستهدفاً فى عصر القنوات الفضائية بل وأصبحت القنوات الفضائية وسيلة مستعمر الأمس فى السيطرة الفكرية والثقافية لضمان الولاء وتبعية المستعمرات القديمة له اليوم فأصبح الدور الرئيسى والمستمر لوسائل الإعلام " يتمثل فى أنها جامعة للذين تركوا مقاعد الدراسة وأن التعليم فيها مستمر مدى حياتهم ولقد أصبح رجل الإعلام فى المجتمع يقوم بدور المعلم فى المدرسة"(٢).

---

(١) سعد الدين لبيب، الإعلام الإذاعى وعالمية الاتصال، مجلة الدراسات الإعلامية المصرية، العدد ٦٥، أكتوبر ديسمبر ١٩٩١م، ص ٤١.

(٢) محمد سيد محمد، الإعلام الإقليمى فى القرن الحادى والعشرين، مجلة الدراسات الإعلامية (المصرية)، العدد ٥٥ أبريل/يوليو ١٩٨٩م، ص ٧٨.

ولقد سعت دول العالم لاستثمار القنوات الفضائية فى مجال التعليم، ومن التجارب الهامة التى تمت فى ميدان التربية والتعليم عن طريق القمر الصناعى تجربة الهند التى انطلقت سنة ١٩٧٤م وهى تسعى إلى القضاء على العديد من ضروب التخلف ومحاربة آفات الجوع والجهل عن طريق بث برامج توعية فى القرى الهندية"(١).

وقد ظهرت المحاولات العربية الرامية إلى استثمار القنوات الفضائية فى مجال التعليم " ففى عام ١٩٧٠م أصدر اتحاد إذاعات الدول العربية دراسة حول استخدامات الشبكة الفضائية وضع فيها الخدمات التعليمية فى مقدمة أهداف الشبكة"(٢).

غير أن استغلال القنوات الفضائية لا يمنع من الخوف من استثمار هذه القنوات الفضائية فى مجال التعليم فقد تتحول إلى سلاح قضاء يدمر التعليم ويفقده الهوية الثقافية العربية وثمة أساليب يستطيع أن يستخدمها التعليم كوسيلة للغزو الثقافي وهذه الأساليب هى : (٣)

١- زرع النمط التعليمي الغازي فى المجتمعات المراد غزوها ثقافياً والهيمنة عليها.

٢- هدم وإضعاف النظام التعليمي الوطني عقب الاحتلال مباشرة أو الوقوف أمام تطوره وانتشاره.

٣- استمرار النموذج التعليمي الغازي فى المجتمعات التى نالت استقلالها وخلق النموذج فى البلدان التى لم يتم احتلالها عسكرياً، وإنما تمت الهيمنة عليها سياسياً واقتصادياً ولا يمكن عزل البحث التربوي عن تلك التغيرات التي تؤثر فى

(١) الطيب الجويلى، مرجع سابق، ص ص ٢٠،٢١.
(٢) سجاد الغازى، مرجع سابق، ص ١٦٤.
(٣) فتحى الإبيارى، مرجع سابق، ص ٣٥.

التعليم والذي يعد البحث التربوي مسئولاً عنه وأداة لتطويره وتطويعه لخدمة المجتمع.

ففى ظل القنوات الفضائية تصبح المعارف سلعة اقتصادية حيث ينمو الاستعمال الخاص للمعلومات.

وقد ظهرت جهود عربية لاستغلال القنوات الفضائية فى مجال البحوث العلمية وذلك بتنمية الثقافة البحثية يبث المؤتمرات العلمية والحلقات النقاشية التي تثرى المعارف البحثية لدى الباحثين وفى هذا الإطار " أعد اتحاد الجامعات العربية استبياناً لوضع تصور لاستخدام الشبكة الفضائية من قبل الجامعات وقامت بالرد عليه ١٩ جامعة وخلص الاستبيان إلى أن الشبكة سوف يكون بإمكانها تقديم خدمات مثل نقل المحاضرات الهامة من جامعة إلى أخرى، ونقل وقائع المؤتمرات العلمية وتبادل المعلومات التى تخص المكتبات والمراجع العلمية"(١).

إلا أن الوضع غير مطمئن حيث يشير عجز القنوات الفضائية العربية إلى أن البرامج الغربية هي التي تغطى معظم الأوقات ولذا فمن المتوقع أن يزداد عجز البحث التربوي عن التغيير والتطوير فى مجال التربية والتعليم حيث يصبح فى مقدور القنوات الفضائية أن تروج للبحوث التربوية الغربية وتعلي من قدرها وتحيل المسئولين عن التربية فى البلدان النامية إلى نتائج هذه البحوث وإهمال البحوث التربوية المحلية، ولذلك تصبح المسئولية خطيرة أمام البحوث التربوية العربية لإثبات الكفاءة أمام هذا التحدي العالمي الذى أصبح يمتلك المعرفة والتكنولوجيا التي تستطيع أن تحقق أهدافه.

---

(١) سجاد الغازى، مرجع سابق، ص ١٦٤.

تعقيب :

تناول هذا الفصل التغيرات المعاصرة وعلاقتها بالبحث التربوي ، فنجد أن للعولمة آثار إيجابية على البحث التربوي في أنه تمد المراكز البحثية بالمعلومات من خلال التدفق المعرفي من الدول المتقدمة التي تمتلك التقنيات الحديثة مثل شبكة الإنترنت والتي أصبحت داخل النظام التعليمي سواء الجامعي أم قبل الجامعي والتي تقوم بربط الباحثين بمراكز البحوث الدولية ومدهم بأحدث الأبحاث العلمية والتربوية في الوقت ذاته تنمع تكرار بعض البحوث وتساهم في نشر بحوث الفريق وتسهل عملية الاتصال فيما بينها .

وتناول الباحث في هذا الفصل الآثار الإيجابية للخصخصة على البحث العلمي وذكر منها أنها توفر الدعم اللازم للباحثين وتشجع على إجراء البحوث التربوية لصالح بعض المؤسسات الخاصة والاتجاه إلى التميز في البحث لتلبية احتياجات المجتمع بما يخدم سوق العمل به ، ويرى الباحث أن البحث التربوي في ظل اتفاقية الجات سوف تزيد تبعية البحث للمنهجية الغربية مع فقد الثقة في أي منهجية عربية ، ومن التغيرات التي تؤثر على البحث التربوي دخول القنوات الفضائية المتخصصة في مجال التعليم ومن التجارب الناجحة التي يجب أن تقتدي بها مصر تجربة الهند التي استخدمت الأقمار الصناعية في نشر التعليم ومحو أمية المجتمع الهندي .